مقامات فاطمة الزهراء عليه السلام

فی الکتاب و السنة

شیخ محمد سند

بسم الله الرحمن الرحيم

مقامات فاطمةالزهراءعليه‌السلام فى‌الكتاب والسنة

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

دارالهادى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مقامات فاطمةالزهراءعليهاالسلام فیالکتاب والسنة ----- ۸
اشارة ----- ۸
تقدیم ----- ۸
تمهید ----- ۹
المقام الاول القرآن ومقامات فاطمه (ع) ----- ۹
المقامی الثانی فاطمة وحجیتها علی الائمة ----- ۱۰
الجهة الأولی: حجّیتها علی الأئمةعلیهم السلام ... ص: ۱۹ ----- ۱۰
الجهة الثانیة: حجّیتها علی الأنبیاء المرسلین ... ص: ۳۴ ----- ۱۵
المقام الثالث مریم بنت عمران مثل ضربه الله لفاطمة (ع) ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
مقامات السیدة مریم علیها السلام ... ص: ۴۲ ----- ۱۷
أولًا: مریم وتحدیث الملائکة لها ... ص: ۴۴ ----- ۱۸
حجیة مریم بنت عمران علیها السلام ... ص: ۵۲ ----- ۲۰
مراحل الاعداد والاصطفاء ... ص: ۵۸ ----- ۲۳
التشریک فی النعمة ... تشریک فی الحجّیة ... ص: ۶۰ ----- ۲۳
الاعتقاد بحجیة مریم ومقامها من خصوصیات الدینالاسلامی ... ص: ۶۳ ----- ۲۴
الوسط الاسلامی ... والتطرف المسیحی ... ص: ۶۴ ----- ۲۵
التشابه بین مقامی مریم وفاطمةعلیهما السلام ... ص: ۶۸ ----- ۲۶
فاطمةعلیها السلام فوق مقام الأبرار ... ص: ۷۴ ----- ۲۸
فاطمة علیها السلام من المطهرین الذین یمسون الکتاب ... ص: ۷۹ ----- ۳۰
فاطمة علیها السلام وحجّیتها لدین الاسلام ... ص: ۸۱ ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱

الجهة الأولی ... ص: ۸۱ ---- ۳۱
الجهة الثانیة ... ص: ۸۷ ---- ۳۳
الأول: الوجه الکلامی ... ص: ۸۷ ---- ۳۳
الثانی: الوجه الفلسفی ... ص: ۸۹ ---- ۳۳
الثالث: الوجه العرفانی ... ص: ۹۰ ---- ۳۴
المقام الرابع أمومتهاالنبی (ع) فی مقابل أمومة زوجاته للمؤمنین ---- ۳۴
المقام الخامس رضا فاطمة رضا الله وغضبها غضبه تعالی ---- ۳۵
المقام السادس مباهاة الله بها لنبیه (ع) ---- ۳۶
المقام السابع اشتمال خطبتها علی معارف تدلل علی سمو مقامها وعظیم حجیتها (ع) ---- ۳۷
المقام الثامن حجیتها فی مقام الدفاع عن علی (ع) ---- ۳۹
المقام التاسع شمولها مع أهل البیت فی الا یات الناز لة فهیم (ع) ---- ۴۱
المقام العاشر ولایتها فی ألا مور العامة ---- ۴۳
اشارة ---- ۴۳
الجهة الاولی: ولایتها فی الأموال العامّة ... ص: ۱۳۸ ---- ۴۴
الجهة الثانیة: المراد من ذوی القربی ... ص: ۱۴۲ ---- ۴۵
الجهة الثالثة: الزهراءعلیها السلام أول من ینطبق علیها ذوی القربی ... ص: ۱۴۴ ---- ۴۵
الجهة الرابعة: إذنها فی الخمس والأنفال بمقتضی ولایتهاعلیها السلام ... ص: ۱۴۵ ---- ۴۶
الجهة الخامسة: الآیة تُثبت کونهاعلیها السلام أبرز أفراد ذوی القربی ... ص: ۱۴۸ ---- ۴۷
الجهة السادسة: ثبوت الخمس لها ومطالبتها به یقتضی ولایتها العامّة ... ص: ۱۴۹ ---- ۴۷
اشارة ---- ۴۷
تأملات جدیدة فی محاججات فدک ... ص: ۱۵۲ ---- ۴۸
رؤیة جدیدة فی فدک ... ص: ۱۵۶ ---- ۵۰
الجهة السابعة: ولایتها ومؤیدات أخری ... ص: ۱۶۹ ---- ۵۴
الجهة الثامنة: روایات أهل السنة وعموم مطالبتها ... ص: ۱۷۵ ---- ۵۶

بالخمس والفیء وفدک ... ص: ۱۷۵ ---------- ۵۶

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۵۸

مقامات فاطمةالزهراءعليه‌السلام فی‌الکتاب والسنة

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، ۱۳۴۰ -

عنوان و نام پدیدآور : مقامات فاطمةالزهراءعليه‌السلام فی‌الکتاب والسنة / محاضرات: محمدسند؛ بقلم: محمدعلی الحلو.

مشخصات نشر : بیروت: دارالهادی، ۱۴۲۲ق.= ۲۰۰۲م.= ۱۳۸۱.

مشخصات ظاهری : ۱۸۳ص.

وضعیت فهرست نویسی : برون‌سپاری

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : فاطمه زهرا (س)، ۸؟ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- فضایل

موضوع : فاطمه زهرا (س)، ۸؟ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- کرامت‌ها

موضوع : فاطمه زهرا (س)، ۸؟ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- جنبه‌های قرآنی

موضوع : فاطمه زهرا (س)، ۸؟ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- نظر اهل سنت

شناسه افزوده : حلو، سیدمحمدعلی

رده بندی کنگره : BP۲۷/۲/س۸۳م۷ ۱۳۸۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۷۳

شماره کتابشناسی ملی : ۱۱۲۰۶۹۸

تقدیم

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد للّه فاتق الکلم جاعل الآیات مصطفی المطهرین حججاً، والصلاة والسلام‌علی المبعوث رحمة للعالمین نذیراً وبشیراً الموعود باظهار دینه علی الدین کلّه‌ولو کره المشرکون، وعلی أهل بیته وعترته وذوی قرابته لاسیما البضعة المطهرةالمباهل بها حجّة للدین علی الأمم والملل من عباد اللّه الذین یطعمون الطعام علی‌حبّه ویخافون یوماً ویفجّرون عین الکافور والتسنیم ویفیضون منهما علی الأبرارالشاهدین للکتاب فی علیین المقرّبون السابقون، الذین یمسّون الکتاب المکنون‌المبین المستطر فیه کل غائبة فی السموات والأرض ولا رطب ولا یابس إلا فیه..

وبعد فإن بین یدی القارىء مجموعة مقتطعة من بحث الفصل الرابع فی الامامةالذی ألقیناه علی عدّة من الأخوة الأفاضل فی العام المنصرم، وقد حررها ونمّقهاالسید الفاضل المبرّز السید محمّد علی الحلو أدام اللّه تعالی دراسته العقائدیة، وقدأجاد ترتیب حلقات البحث فی هذه المجموعة التی اختصت بمقامات الصدیقةفی الکتاب والسنّة. وأرجو منه تعالی له المزید من التوفیق والتحقیق والخدمةللدین الحنیف.

لخمس لیال بقین من شوال

ذکری شهادة الامام الصادق ۷ ۱۴۲۱ ه. ق

محمّد سند

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹

تمهيد

فى ظل ظروف تعجُّ بالتساؤلات النابعة من شبهات عقائدية- هى فى حقيقتهاقديمة بالية يروّجها أعداء الإسلام ويجددها أتباعهم- يتصدّى علماءنا الأعلامللاجابة عن هذه التساؤلات، ورفع تلك الشبهات بما لا يبقى مندوحة لأحد تخفىعليه حقائق الدين وأصول المذهب.

إلا أنّ أستاذنا المحقق العلّامة الشيخ محمّد السند حفظه اللّه تعالى، قد تجاوز هذهالمرحلة إلى مرحلة أخرى يبادر فيها بطرح الأسئلة والاجابة عنها متخطياً بذلكتقليدية السؤال والاجابة عليه متى ما حصل ذلك من احد، اذ تصدى إلى أن يطرحتساؤلاته على شكل بحوث قيّمة ترفع الشبهة، وتعين الباحث للمطالبة فىالاستزادة من بحوث بكرٍ لم يتطرقها أحد قبله.

والكتاب الذى بين يديك- أيها القارىء الكريم- هو احدى هذه المحاولات، اذ هوفى الحقيقة اجابة لسؤالٍ، وإن كان لم يطرح مباشرة إلا أن الواقع العلمى لحوزتناالمباركة- حرسها اللّه تعالى- يجده ملحاً فى ظل هذه الظروف العصيبة منالشبهات، والسؤال

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰

المطروح: ما هو مقام فاطمةعليها السلام وما هى حجّيتها وولايتهاكذلك؟ وللاجابة عن ذلك، عقد الأستاذ المحقق حفظه اللّه بحوثاً جاءت علىشكل بيان لمقامات فاطمية نابعة من القرآن ومفسّرةً بالسنّة، معتمدة فى ظهوراتهاعلى نباهة القارىء الفطن فى تفتيق الحقائق من أكمامها القرآنية ومستعيناً بتفسيرات السنّة النبويّة وأئمة الهدى صلوات اللّه عليهم فالدراسة لا تتعدى عنمحاولة قِراءة الأيات القرآنية بواسطة السنّة الشريفة وصياغة كل مقام صياغة فقهيةقانونية، ومحاولة معرفة البُعد الفقهى القانونى لكل آية وحديث متّفق لدىالفريقين، أى ستكون الدراسة حالة استجلاء لنصوص الفريقين وابراز كوامن ماارتكز لديهم من مقامات الصديقة فاطمةعليها السلام.

فالقارىء سيجد فى الدراسة إعادة تنضيد الأدلّة من مظانها بما يضمن مرتكزاتالفريقين، والتى لم تُتداول بهذا العمق والترتيب القانونى، إما لتسليمهم بهاواعتبارها من مسلّمات وضرورات الدين، وإما أن ظروفاً ما لم تأذن بتداول مثلهذه الحقائق وبهذا الوضوح، لذا سيجد القارىء فى مطاوى البحث كلمات أعلامالفريقين تُشير بشكل خفى إلى جميع هذه المقامات وتداولها كأنها من مسلّماتهم، وهذا ما امتازت به هذه البحوث وتمكّنت من تقديم مقامات الصديقة فاطمةعليها السلامبطريقة تكفل الإجابة عن السؤال:

ما هى مقامات فاطمة عليها السلام وما هى حجّيتها وولايتها الالهية صلوات اللّه عليها وعلىآلها المعصومين.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱

لذا فقد دفعنى الحرص على تقرير هذه الأبحاث الجليلة ليتسنى لها أن تأخذ مكانهافى مواقع الدفاع عن العقائد الحقّة والإجابة عن كثير من التساؤلات التى ستثيرحفيظة القارىء عند قرائته عنوان البحث لأول وهلة، وسيجد ما أمكن حِفظه فىمرتكزاته العقائدية وبتقنين فقهى- قرآنى لا محيص للباحث من متابعته والاستعانةبه للانفتاح على آفاق عقائدية- معرفية يفتح من خلالها نافذة جديدة على بعضخصائص الصديقة الزهراءعليها السلام، وشخصيتها الإلهية العظيمة.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵

المقام الاول القرآن ومقامات فاطمه (ع)

المقام الاول القرآن ومقامات فاطمه (ع)

اذا كُنا فى مقام البحث عن مقامات فاطمة عليها السلام، فانّ القرآن قد تكفّل ذكر بعضفضائلها، اذ أمكن تتبع ما نزل من القرآن فى

شأنها («۱») عليها السلام، فاجتمعت أكثر من ستين آية تشهد لها بالفضل والفضيلة والمقام المنيع فى الدين والأصل الأصيل فىالاعتقاد الواجب على كل مكلّف التدين به وان لها من الحقوق الجمّة اللازم التسليم‌بها عدا ما اشتركت مع آل البيت‌عليهم السلام من آيات صريحة، فحسبنا ما ذكره القرآن من‌شهادة، فهل بعد شهادة الله شهادة؟ وهل بعد تزكيته تزكية؟ فطوبى لها من ذكرخالد، وحسنُ مآب، ورفيع مقام الهى.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۹

المقامى الثانى فاطمة وحجيتها على الائمة

الجهة الأولى: حجّيتها على الأئمةعليهم السلام ... ص: ۱۹

لما كانت علّة الخلق هى عبادة اللّه تعالى لقوله:» وما خلقت الجن والانس إلاليعبدون «(«۱») فانّ العبادة لا تتم إلا بمعرفته تعالى، ومعرفته لا تتم إلا برسله وأوليائه، اذ هم حججه على العباد فى كل زمان فهم الطريق اليه والمسلك الى سبيله.

عن هشام بن الحكم عن أبى عبداللّه‌عليه السلام ... قال:» انّما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاًمتعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده‌خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى‌خلقه، يُعبّرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم‌وفى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبرون عنه‌جلّ وعزّ وهم الأنبياءعليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۰

الخلق والتركيب فى شىء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان ممّا أتت به‌الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ‌يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته «(«۱»).

فالحجّة اذن هو الدليل الى الله تعالى يُحذّر به عباده وينذرهم ويهديهم.

فمقام الحجية إلهى تصل بوساطته العلوم الإلهية اللدنيّة الى عباده.

واذا كان أهل البيت‌عليهم السلام حجج الله على خلقه فانّ أمّهم فاطمة حجة الله عليهم، وهى ما صرّحت به رواية العسكرى‌عليه السلام:» نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة‌عليها السلام‌حجّة علينا «(«۲»)، ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن مصادر علومهم عليهم السلام كالجفروالصحيفة والجامعة، وأن منها مصحف فاطمة‌عليها السلام مما يدلّ على كونها واسطةعلمية بين الأئمةعليهم السلام وبين اللّه تعالى فى العلم المحفوظ فى مصحفها المتعلق بما؛ ئويكون الى يوم القيامة، فهى حجة فى هذا العلم الجم على الأئمةعليهم السلام يأخذون به، نظير حجية النبى‌صلى الله عليه وآله فى شأن القرآن الكريم الذى هو مصدر علوم الأئمة عليهم السلام كمافى الروايات الآتية.

ولا يخفى أن وساطتهاعليها السلام لذلك العلم ليس عبر نقش وخط ذلك المصحف، اذالوجود الكتبى لمصحفها وجود تنزلى تنزيلى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۱

لحقائق ذلك العلم الذى ألقى إليها، فوساطتها بلحاظ عالم الأنوار لهم‌عليهم السلام فقد روى فراتى الكوفى فى تفسيره، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن عبيد معنعناً عن أبى عبداللّه‌عليه السلام أنّه قال:»» انّا أنزلناه فى‌ليلة القدر «الليلة فاطمة والقدر اللّه، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وانّما سميت فاطمة، لأن الخلق فطموا عن معرفتها، وقوله» وما أدراك ما ليلة القدر ليلةالقدر خير من ألف شهر «يعنى خير من ألف مؤمن، وهى أمّ المؤمنين،» تتنزل‌الملائكة والروح فيها «والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم

آل محمدصلى الله عليه وآله والروح‌القدس هى فاطمةعليها السلام» باذن ربّهم من كلّ أمر سلام هى حتّى مطلع الفجر «يعنى حتّى‌يخرج القائم‌عليه السلام «(«۱»)

فقد روى زرارة عن حمران قال سألت أبا عبداللّه‌عليه السلام عمّا يفرّق فى ليلة القدرهل هو ما يقدر اللّه فيها؟ قال:» لا توصف قدرة اللّه، إلا- أنه قال» فيها يفرق كل أمرحكيم «فكيف يكون حكيماً إلا ما فُرق، ولا توصف قدرة اللّه سبحانه لأنه يحدث مايشاء. وأما قوله» ليلة القدر خير من الف شهر «يعنى فاطمةعليها السلام، وقوله» تتنزّل‌الملائكة والروح فيها «والملائكة فى هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل‌محمّدعليهم السلام و» الروح «روح القدس، وهو فى فاطمةعليها السلام» من كل أمر سلام «يقول من‌كل أمر مسلّمة» حتّى مطلع الفجر «يعنى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۲

حتّى يقوم القائم‌عليه السلام «(«۱») وكما هو الحال فى‌وساطة النبى‌صلى الله عليه وآله لايصال القرآن لهم، ففى صحيحة زرارة قال:» سمعت أبا جعفرعليه السلام‌يقول: لولا أننا نزداد لأنفدتا، قال قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول اللّه‌صلى الله عليه وآله، قال: أماإنّه إذا كان ذلك عرض على رسول اللّه‌صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر الينا «.

وفى رواية عن أبى عبداللّه‌عليه السلام قال:» ليس يخرج شىء من عند اللّه عزّوجلّ حتّى‌يُبدأ برسول اللّه‌صلى الله عليه وآله ثم بأمير المؤمنين‌عليه السلام ثم واحداً بعد واحد لكى لا- يكون آخرنا‌أعلم من أولنا «(«۲») فالوساطة ليست فى خصوص الوجود الكتبى للقرآن، بل فى‌ايصال الحقائق النورية للقرآن الى أنوار أرواحهم‌عليهم السلام، فالالقاء والتلقى نوريٌ‌بلحاظ نشأة الملكوت المطوى فى وجوداتهم وأرواحهم كما يشير اليه قوله تعالى:» انّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون «(«۳»).

وقد بيّن الإمام أبو عبدالله الصادق‌عليه السلام ما يتضمنه هذا المصدر العلمى الإلهى‌فى رواية بقوله:» انّ فاطمة مكثت بعد رسول اللّه‌صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلهاحزنٌ شديد على أبيها، وكان جبرئيل‌عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها ويُطيّب نفسهاويُخبرها عن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۳

أبيها ومكانه، ويُخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها، وكان على‌عليه السلام يكتب‌ذلك، فهذا مصحف فاطمةعليها السلام «(«۱»).

وفى رواية أخرى يبيّن الإمام‌عليه السلام جانباً آخر من جوانب ما يتضمنه هذا المصدرالالهى، ففى حديث قال أبو عبداللّه‌عليه السلام:» ومصحف فاطمة ما أزعم انّ فيه قرآناً وفيه مايحتاج الناس الينا ولا- نحتاج الى أحد حتى أنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدةوربع الجلدة وأرش الخدش «(«... ۲»).

ولعل الرواية الأخرى تفيدنا جانباً آخر مما يتضمنه مصحف فاطمةعليها السلام:

عن أبى عبداللّه‌عليه السلام:» الى أن قال: وانّ عندنا لمصحف فاطمةعليها السلام وما يدريهم مامصحف فاطمةعليها السلام قال: قلت: وما مصحف فاطمةعليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم‌هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد «(«۳»).

وقوله‌عليه السلام:» والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد «ليس المراد منه خلو القرآن‌الكريم عن ذلك العلم المودع فى مصحف فاطمةعليها السلام اذ القرآن تبيان كل شىء، بل‌المراد أن ليس فيه من ألفاظ وآيات

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۴

وكلمات القرآن شىء، اذ علمهاعليها السلام بذلك‌بنزول جبرئيل عليها هو ما سيأتى بيانه من كونها مطهرة تُمسُ القرآن الكريم فى‌الكتاب المكنون، واللوح المحفوظ الذى يستطرُ فيه كل غائبة ورطب ويابس وماكان وما يكون، فعلمها بذلك هو من العلم بحقيقة القرآن العلوية، لا- هو شىء خارج‌عن حقيقة القرآن، غاية الأمر أن تلك الحقيقة بالألفاظ الموجودة بين الدفتين وماعلمت به‌عليها السلام كالشرح لبطونه وحقائقه التكوينية العلوية. ويشهد لذلك رواية أخرى‌عن مصحفهاعليها السلام وهى ما رواه الطبرى فى دلائل

الإمامة من معتبرة أبى بصير قال:» سألت أبا جعفر محمّد بن علىعليهما السلام عن مصحف فاطمة فقال: أنزل عليها بعد موتأبيها.

قلت: ففيه شيء من القرآن.

فقال: ما فيه شيء من القرآن.

قلت: فصفه لى.

قال: له دَفتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين.

قلت: جعلت فداك فصفه لى ورقه.

قال: ورقه من درٍ أبيض، قيل له: كنى فكان.

قلت: جعلت فداك فما فيه؟

قال: فيه خبرُ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما فىالسماوات من ملائكة وغير ذلك، وعدد كل ما خلق اللّه مرسلا وغير مرسل، وأسمائهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۵

من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق اللّه منالمؤمنين والكافرين من الأولين والاخرين، وأسماء البلدان وصفة كل بلد فى شرقالأرض وغربها، وعدد ما فيها من مؤمنين، وعدد ما فيها من كافرين، وصفة كل منكذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولىَ من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحد واحد، وصفة كبرائهم، وجميع من تردد فىالأدوار.

قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟

قال: خمسون الف عام، وهى سبعة أدوار فيها أسماء جميع ما خلق اللّه وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الانجيل كما أنزل، وعلم الزبوروعدد كل شجرة ومدرة فى جميع البلاد.

قال أبو جعفر: ولما أراد اللّه تعالى، أن يُنزل عليها جبرئيل وميكائيل واسرافيل أنيحملوه فينزلون بها عليها، وذلك فى ليلة الجمعة، الثلث الثانى من الليل، فحيطوا به وهىقائمة تصلى، فما زالوا قياماً حتّى قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلّموا عليها، وقالوا: السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف فى حجرها.

فقالت: للّه السلام ومنه السلام، واليه السلام، وعليكم يا رسل اللّه السلام.

ثم عرجوا إلى السماء. فما زالت بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۶

تقرأه حتّى أتتعلى آخره، ولقد كانتعليها السلام مفروضة الطاعة على جميع ما خلق اللّه من الجن والانسوالطير والوحش، والانبياء والملائكة.

قلت: جعلت فداك، فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيها.

قال: دفعته إلى أمير المؤمنين، فلما مضى صار إلى الحسنعليه السلام ثم الحسينعليه السلام ثمعند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمرعليه السلام.

فقلت: انّ هذا العلم كثير.

قال: يا أبا محمّد انّ هذا الذى وصفته لك لفى ورقتين من أوله، وما وصفت بعد فىالورقة الثالثة («۱») ولا تكلمت بحرف منه («۲»)».

ويجدر التنبيه إلى أن اختلاف ألسن الروايات فى كيفية مصحفها امّا راجع إلى تعدد صحفهاعليها السلام أو الاختلاف فى أبعاض المصحف الواحد أو وجوه أخرى لإ؛ كتخفى على القارىء بعد ملاحظة مجموع الكلام فى هذا المقام. ويدلّ على ظاهرهاومفادها من اشتمال مصحفها على كل صغيرة وكبيرة ورطب ويابس وجميع ماخلق مما كان وما يكون وما هو كائن، وعلوم الكتب السماوية وكما سيأتى فىالمقامات اللاحقة من كونها مطهرة كما فى صورة الأحزاب، والمطهّر كما فى سورةالواقعة يمس حقيقة القرآن العلوية المكنونة فى الكتاب واللوح المحفوظالموصوف بأنّه تبيان لكل شىء كما فى سورة النحل، وهو الكتاب المبين كما فىسورة الدخان،

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۷

والكتاب المبين وهو الذى يستطر فيه كل غائبة فى السماواتوالارض كما فى سورة النمل، وكل ما فى البرّ والبحر وكل رطب ويابس كما فىسورة الانعام، فمضمون هذه الرواية مما دلّت عليه تلك الآيات مضافاً إلى كونالقرآن هو الكتاب المهيمن على بقية الكتب السماوية، فهو يحيط بها، فالذى يمسُ حقيقته العلوية تتنزل عليه مثل تلك الحقائق.

وفى رواية ثالثة قال أبو عبدالله عليه السلام:».. وليخرجوا مصحف فاطمة فانّ فيه وصيةفاطمة «(«۱»).

فلم يكن مصحف فاطمة عليها السلام مصدراً لجانب علمى معيّن، بل يعمّ علوماً عدّة أشار لبعضها الإمامعليه السلام كالحوادث الواقعة الى يوم القيامة أى ما كان ومايكون وما هو كائن الى يوم القيامة، فضلًا عن الأحكام التى يتضمنه مصحفهاليشمل حتى إرش الخدش، على أنا لا نغفل عن قول الامامعليه السلام من انّ مصحفاطمة فيه وصيّتها عليها السلام، ووصيتها هذه تتضمن أمراً خطيراً هاماً لم يصرح به الامام إلاانّه يُشعر من كلامه مدى خطورة وصيّتها هذه، اذ قولهعليه السلام» وليخرجوا مصحفاطمة «نوع تهديد وتحدى لبعض الجهات يكمن من خلاله أن فى وصيتها عليها السلامتوصيات الهية تعيّن الامام الذى امامته من عند الله تعالى، فالإيصاء بإمامة الأئمةعليهم السلام، مما يدل على

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۸

أن العهد بإمامة الأئمةعليهم السلام من ذريتها هو من شؤونهاعليها السلام اذمتعلق الوصية لابد أن يكون ممّا يشمله ولاية الموصى، ومن ثم كان الإمام السابقيوصى بإمامة اللاحق، وكوصية النبىصلى الله عليه وآله بإمامة علىعليه السلام والأئمة من ولدهعليهم السلامويصرّح بهذا المقام لها عليها السلام النص الوارد فى نزول اللوح الأخضر عليها المتضمنلتعيين أسماء الأئمةعليهم السلام، ومن ثمّ يصح أن الائمة من ذريتها أوصياء لها كما هوالحال فى كون الامام اللاحق وصى الامام السابق، وكما ورد فى زيارة الحسينعليه السلاموزيارة الرضاعليه السلام» السلام عليك يا وارث فاطمة «... الدال على وراثة إلهية بينها وبينالأئمة وعلى الاجمال فإن مقام الوصاية بالامامة مقام خطير إلهى نظير ما كان لمريمبنت عمران من مقام حيث ألقى اليها كلمة الله عيسى، وكان لها مسؤولية البشارةبنبوّة عيسى للناس.

مما يعنى أن لمصحف فاطمةعليها السلام شأناً فى تحديد منصب الامامة الإلهية، ويدلل فى الوقت نفسه ما لفاطمة عليها السلام من صلاحية خاصة فى تحديد معالم القيادة الاسلامية المتمثلة زعامتها الحقة فى إمامة المعصومين عليهم السلام ويؤكد كذلك عِظم حجيتها عليها السلام فى أخطر شأن من شؤون الدين والأمة وهو تحديد مناصب الإمامة الالهية، علماً انّ هذا التحديد سيكون على مستوى الوصية الالهية التى تلقى الى النبىصلى الله عليه وآله ليحمّلها فاطمةعليها السلام، ومن هنا سنرى مدى خطورة مسؤوليات فاطمةعليها السلامفى رسم مبدأ مسار الأمة ومنتهاه الى يوم القيامة، وسيتّضح انّ من هذا القبيل أمراًخطيراً ومهماً، وهو مدى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۲۹

أهمية موقف فاطمةعليها السلام إبّان أحداث البيعة وتوجهاتالسقيفة، واعلان استنكارها لما أقدمت عليه جماعة السقيفة وقتذاك، اذ يعنىاستنكار فاطمة عليها السلام على ما أقدم عليه القوم مخالفتهم للمسار الذى جعله الله تعالىورسمه لهذه الأمة ما تعاقبت أجيالها بحسب ما عهد اليها عليها السلام من وصية فى تعيينالامام وهو ما تكفّله مصحف فاطمةعليه السلام وستؤكد الرواية التالية ما نذهب

اليه من أنهذه الوصية هى وحى إلهى ألقى الى رسول اللهصلى الله عليه وآله وألقاه إليهاعليها السلام.

قال ابو عبدالله‌عليه السلام فى حديث ...:» وخلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلاممن كلام الله أُنزل عليها، املاء رسول الله وخط علىعليه السلام «(«۱»).

مضمون هذه الرواية أن بعض مصحفها هو من إملاء الرسولصلى الله عليه وآله بعد وفاتهعلى فاطمةعليها السلام لا من نزول جبرئيل عليها نظير الرواية المتقدمة فى أصول الكافىمن أن ما ينزل من العلم المتجدد من الله تعالى على الامام الحى القائم بالأمر يتنزلأولًا على رسول اللهصلى الله عليه وآله فى نشأته الاخروية ثم على أمير المؤمنين‌عليه السلام ثم على الإمامااللاحق فاللاحق الى أن يصل فى تنزله على الامام الحى القائم بالأمر...

مما يدلل على وساطة النبىصلى الله عليه وآله فى علوم المعصومين عليهم السلام اللدنية منه تعالى، وفى الرواية اشارة الى أن علياًعليه السلام كان يخط ما

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۰

يمليه ويلقيه له بالنبىصلى الله عليه وآله فى تلكالنشأة على فاطمةعليها السلام، وهذا نظير ما كان من شأن علىعليها السلام من أنه كان يسمع مايسمعه النبىصلى الله عليه وآله من الوحى ويرى ما يراه النبىصلى الله عليه وآله كما ورد ذلك فى رواياتعديدة وكما نقلعليه السلام ذلك عن النبىصلى الله عليه وآله قوله» انك تسمع ما أسمع وترىما أرى إلاأنك لست بنبى «فى آخر الخطبة القاصعة من نهج البلاغة، ويقتضيه مفاد حديثالمنزلة» أنت منّى بمنزلة هارون من موسى «اذ كان ما يتنزل على موسى يسمعه ويراههارون كما هو مفاد الآيات الكريمة المشتركة بينهما فيما ينزل: فالذى يتنزل هوعلى فاطمةعليه السلام، لكنه يسمعه علىعليه السلام، ونظير ما سيأتى من نزول الملائكة على مريمبل والوحى المباشر من الله تعالى لها، مع أنها لم تكن نبياً ولكن كانت آية منحجج الله تعالى. ثم أن فى التصريح بأن ما نزل عليها كلام من كلام الله تعالىالقدسى غير القرآنى، تبيان لمقام حجيتها الإلهية.

على أن مصحف فاطمة هو أحد دلائل إمامة الامام عند حيازته له.

عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبدالله‌عليه السلام يقول:» ما مات ابو جعفرعليه السلام حتى قبضمصحف فاطمةعليها السلام «(«۱»).

فمصحف فاطمة أحد المنابع العلمية التى يتزود منها الامام إبّان مهمته الإلهية، فضلًا عن كونه أحدى دلائل إمامته الحقّة.

من هنا تبيّن أن حجية فاطمة عليها السلامعلى أبنائها الحجج

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۱

المعصومين‌عليهم السلام، فهىالواسطة العلمية بين الله تعالى وبين الأئمة عليهم السلام ومن خلال العلم المحفوظ فىمصحفها المتعلق بما يكون الى يوم القيامة، فحجيتها نظير حجية النبىصلى الله عليه وآله فى شأنالقرآن المجيد الذى هو مصدر علوم الأئمةعليهم السلام كما هو المقرر.

كما تؤكد أن العلم الذى يتلقونه عليهم السلام عن مصحف فاطمة غير مقتصر على مانقش من وجود كتبى فى ذلك المصحف، بل هذا الوجود الكتبى تنزلى تنزيلىلحقائق ذلك العلم الذى أُلقى عليها كما تقدم، فوساطتها اذن بلحاظ عالم الأنوارلهم عليهم السلام، ويشهد لوساطتها لعلومهم وحجيتها روايات بدء الخلقة وخلقة أنوارهم واشتقاقها على الترتيب من نور النبىصلى الله عليه وآله ونور على، ثم اشتقاق نور الحسنين منهم مما يدل على كون رتبتها بعد على أمير المؤمنين‌عليه السلام، وأن بقية أنوار الائمة عليهم السلام أُشتقت منها فهى واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم وهو مقامرفيع وسرّ عظيم.

ففى حديث عن رسول اللّهصلى الله عليه وآله مسنداً عن سلمان قال:» دخلت على رسول اللهصلى الله عليه وآله فلمّا نظر الىّ قال: يا سلمان انّ الله عزّوجل لم يبعث نبياً ولا رسولًا إلا جعل لهاثنى عشر نقيباً، قال: قلت: يا رسول الله قد عرفت هذا من الكتابين («۱») قال: يا سلمان فهلعلمت نقبائى الاثنى عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدى؟ فقلت: الله ورسولهأعلم، قال: يا

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۲

سلمان خلقنى الله من صفاء نوره فدعانى فأطعته وخلق من نورى علياًفدعاه الى طاعته فأطاعه، وخلق من نورى ونور علىعليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلقمنى ومن على ومن فاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه، فسمّانا الله عزّوجلبخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العلى وهذا على، والله فاطروهذه فاطمة، والله الاحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين.

ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنيةأو أرضاً مدحية، أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكلنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع لهونطيع «(«۱»).

فالخلقة والاصطفاء كما جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلىعليه السلام، جرى مثله علىفاطمة عليها السلام، وهذا لعمرى مقام خطير وشأن رفيع.

كما أن اشتقاق نور على من نور محمد ونور فاطمة من نور على ونور الحسنوالحسين من نور فاطمة وأنوار التسعة من ذرية الحسين من نور الحسين، دلالةعلى ترتيب النورانية وكون المتقدم واسطة فيض للمتأخر، لذا فانّ فاطمةعليها السلام تُعدواسطة فيض نورانية للأئمةعليهم السلام لتقدمها عليهم بالنورانية، وهذا معنى كونها واسطةإفاضة على أولادها المعصومينعليهم السلام فهى بالتالى حجّة عليهم.

ومما يؤكد أنهم من نور واحد ما روى عن الرضا صلوات الله

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۳

عليه:».. انّ اللهتبارك وتعالى أوحى الى عمران: أنى واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريمعيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى، ومريم وعيسى شىء واحد، وأنا من أبى، وأبى منى، وأنا وأبى شىء واحد «(«۱»).

فاذا كان عيسى من مريم ومريم من عيسى شىء واحد، فكيف بمن كانوا أنواراًيسبّحون الله قبل الخلق بألفى ألف عام؟

عنهم عليهم السلام:» انّ الله خلقنا قبل الخلق بألفى ألف عام، فسبّحنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا «(«۲»).

فهمعليهم السلام من فاطمة، وفاطمة منهم.

وهذا دليل قولنا: أنها عليها السلام واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم صلواتالله وسلامه عليهم وعلى أمّهم سيدة نساء العالمين.

فيتلخص بذلك وجهان لمقام حجّيتها على الأئمةعليهم السلام:

الأول: كون مصحفها مصدر من مصادر علوم الأئمةعليهم السلام ومعنى ذلك وساطتهاالعلمية المنصوبة من قبله تعالى للائمة.

الثانى: اشتقاق نورهمعليهم السلام من نورها فى بدء الخلقة وهو يستلزم مقام الحجيةلهيمنة المتقدم على اللاحق.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۴

الجهة الثانية: حجّيتها على الأنبياء المرسلين ... ص: ۳۴

ويدلّ عليه من الكتاب بوجهين:

الأول: كونها مطهّرة تمسُ الحقيقة العلوية الملكوتية للقرآن الكريم فى اللوحالمحفوظ كما تقدمت الاشارة إلى السور القرآنية الدالة على ذلك، وكما سيأتى فىمقامات أخرى لاحقة والذى يُحيط بعلم الكتاب المهيمن على بقية الكتبالسماوية السابقة يفضل على أصحاب تلك الكتب، حيث وصفت توراة موسى بأنفيه تبيان من كل شىء لا تبيان لكل شىء، فضلًا عن بقية الكتب.

الثانى: قوله تعالى» وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونىبأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم

لنا إلا ما علّمتنا انّک أنت العليمالحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلّما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنى أعلمغيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوالآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين «(»)وقوله تعالى:» قال يا ابليس ما منعک أن تسجد لِما خلقت بيدى أَستكبرت أم كنت من العالِين «(«۲»).

فظاهر هاتين الآيتين والتى استعرضت كذلک فى سور أخرى، من أنّ هذهالأسماء كانت موجودة حيّة شاعرة عاقلة، لأن الضمير

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۵

واسم الإشارة المستخدم فىالآيات المزبورة عائدة إلى العاقل الحى الشاعر، ومقتضى حصول آدم على شرفالخلافة الالهية واسجاد الملائكة كلهم أجمعون خاضعين طائعين له كان بسببتشريفه بالعلم بتلک الموجودات الحيّة الشاعرة، مما يفضى بشرافة مقام تلكالموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة على مقام آدم فضلًا عن جميع الملائكة، ومما يقتضى أن خلفاء اللّه من الانبياء وجميع المرسلين أوصيائهم الذين يندرجون تعاقباًفى قوله تعالى» واذ قال ربّک للملائكة انّى جاعل فى الأرض خليفة «انّما يشرفونويؤهلون بمقام الخلافة الإلهية فى الأرض، انّما هو بتوسط تشريفهم بالعلم بتلكالوجودات الحيّة الشاعرة العاقلة، والتى أشار اليها تعالى فى سورة ص بالعالين لأنّهتعالى حصر ما سوى آدم فى قوله» أستكبرت أم كنت من العالين «كونه دون آدمفيكون عدم سجود ابليس استكباراً، أو هو من العالين الذين لا يخضعون لآدم ولالطاعته بل يفوقونه، وليس أولئک إلا الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة الذينببركتهم شرّف آدم بذلک المقام، فكيف يكونون دونه خاضعين وطائعين له؟

ومقتضى وصف اللّه تعالى لعلم آدم بتلک الموجودات بأنه غيب السماواتوالأرض ولأجل ذلک لم تحط الملائكة علماً بتلک الموجودات لأنها بالنسبة إلىالسماوات والأرض غيب أى ليست مشهودة فيها، ومقتضى كل ذلک كون تلكالموجودات الشاعرة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۶

الحيّة العاقلة هى من الأنوار المخلوقة قبل السماواتوالارض قبل الملائكة وقبل آدم، وهو قولهصلى الله عليه وآله:» أول ما خلق اللّه نور نبيک يا جابر «وان تلک الأنوار الحيّة الشاعرة العاقلة ليست هى نور آدم ولا نور الأنبياء والمرسلين، وإلا لكان آدم عالماً بذاته ولما احتاج أن يعلم بموجودات غير ذاته، وكذلک لما احتاج بقية الأنبياء والمرسلين فى استخلافهم عن اللّه فى الأرض إلىتعلّم تلک الأسماء مع أن الآيات قاضية بأن مقام الخلافة الإلهية عن اللّه انّمايستأهلها افراد البشر من الأنبياء والمرسلين والذى كان آدم هو المصداق الأول انّمايستأهلونها بالعلم بتلک الموجودات كسنّة إلهيّة دائمة كلية فى مقام جعل الخليفةفى الأرض.

وهذا المفاد لهذه الآيات متطابق للروايات الواردة عنهمعليهم السلام فى ذيل هذهالآيات، وقد تضمنت تلک الروايات التنبيه على دلالةوظهور الآيات على مثل ذلکوانّها فى الأنوار الخمسةعليهم السلام كما فى روايات اشتقاق النور كما تقدم وسيأتى مفصلًاكذلک.

أمّا من السنّة:

فالأول: فهى روايات بدء الخلقة الآنيّة حيث دلّت على أنّ أول ما خلق نور سيدالرسلصلى الله عليه وآله ثم نور علىعليه السلام ثم نور فاطمةعليها السلام ثم الحسنينعليهما السلام ثم نور التسعة من ذرّيّةالحسينعليهم السلام مما يدلّ على تقدم خلقتهم النورية على سائر الأنبياء والرسل وبالتالىحجّية تلک الأنوار عليهم صلوات اللّه عليهم.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۳۷

الثانى: أخذ ولايتها وطاعتها على الأنبياء، وهو مستفاد من الوجه الثانى المتقدمفى الكتاب، وقد تقدم فى رواية دلائل الإمامة حول مصحف فاطمةعليها السلام عن أبىبصير وقولهعليه السلام:» ولقد كانتعليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق اللّه من الجنوالانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة «(«۱»)، وفى رواية بصائر الدرجات عالٍاسنادها عن حذيفة بن أسعد قال:» قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوّة لنبىّ فىالأرض حتّى عرضت عليه ولايتى وولاية أهل بيتىعليهم السلام فمثلوا له فأقرّوا

بطاعتهم وولايتهم «(«۲»).

الثالث: ما روى من قولهم‌عليهم السلام» لولا- أنّ أمير المؤمنين تزوجها لما كانت لها كفو إلى‌يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه «(«۳»).

وقد أشار إلى ذلك المجلسى‌رحمه الله بقوله: انّه يستدلّ به على كون على وفاطمةعليهما السلام‌أشرف من سائر أولى العزم سوى نبيّناصلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من الوجوه الروائية التى لامجال لهذا المختصر من ذكرها.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۱

المقام الثالث مريم بنت عمران مثل ضربه الله لفاطمة (ع)

اشارة

قال تعالى:» ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحناوصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين «(«۱»).

عن أبى عبدالله‌عليه السلام أنّه قال:» ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها مثلًا ضرب‌الله لفاطمةعليها السلام وقال: انّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار «(«۲»).

وقبل ذلك، لابد من التنبيه الى قاعدة فى باب المعارف أشارت اليها روايات‌أهل البيت‌عليهم السلام وهى أن ما ذكر فى القرآن الكريم من الأنبياء والرسل والأوصياءوالحجج وما لهم من مقامات ومناصب وشؤون إلهية ان من غاياته المهمة كونه مثلًاضربه الله تعالى لمقامات وشؤون النبىّ وأهل بيته عليهم السلام، وهذه القاعدة باب ينفتح‌منه أبواب عديدة.

فالمماثلة بين حالتى فاطمةعليها السلام وبين مريم‌عليها السلام تتم من وجوه قرآنية- قرآنية أى‌ستكون المقارنة بينهما على أساس استقراء قرآنى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۲

للآيات الواردة فى مقامات مريم‌عليها السلام وبين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فى مقامات فاطمةعليها السلام لنجدمدى الترابط الوثيق ووضوح المشتركات التى تؤهّل الباحث من متابعة أوجه‌التشابه بين المقامين.

مقامات السيدة مريم عليها السلام ... ص: ۴۲

اذا كانت مريم‌عليها السلام قد فضّلها الله بكمالات تقارب كمالات الأنبياء والرسل وهى‌سيدة نساء عالمها فكيف بسيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين فاطمة بنت‌محمد صلوات الله عليها.

عن المفضل بن عمر قال:» قلت لأبى عبدالله‌عليه السلام أخبرنى عن قول رسول الله فى‌فاطمة: أنها سيدة نساء العالمين، أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال: تلك مريم كانت سيدةنساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين «(«۱»).

والمراد من قوله تعالى» انّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين «(«۲») ليس مطلق العالمين إلى يوم القيامة، بل هو عالم زمانها بقرينة نظير قوله تعالى فى‌بنى اسرائيل» اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنّى فضلتكم على

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۳

العالمين «(«۱») وقوله تعالى على لسان موسى خطاباً لبنى اسرائيل» قال أغير اللّه أبغيكم إلهاً وهوفضّلكم على العالمين «(«۲») وكذا قوله تعالى» ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على‌العالمين «(«۳») وقوله تعالى» ولقد اخترناهم على علم على العالمين «(«۴») فانّه ليس‌المراد تفضيلهم على كل الأمم وانّما المراد بها تفضيلهم على عالمين زمانهم لقوله‌تعالى» كنتم خير أمّة أخرجت للناس «(«۵»)

وقوله تعالى» وكذلك جعلناكم أمّة وسطالتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً «(«۶») مما يعنى أنّ هذه الأمةهى أفضل من بنى اسرائيل مما يعنى أنّ هذه الأمة وإن أريد منها بعض الأمةالاسلامية، مضافاً إلى ما سيأتى من دلالة الآيات من افضلية مقامات الزهراءعليها السلام علىمريمعليها السلام.

فالمراد إذن من اصطفاء مريم على العالمين هو عوالم الأمم من العرقيات والأقوام والملل والنحل التى كانت تعيش فى زمانها من شرق الأرض وغربها.

ولكى نستقرأ مقامات فاطمة عليها السلام يجدر بنا أن نتعرض

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۴

للاشارات القرآنية عنمقام مريم عليها السلام ليتبيّن لنا مقامات سيدة نساء العالمين، عندها فلا تكون أية غرابةفيما تعتقده الامامية من مقامات فاطمةعليها السلام وسيتبين من النصوص القرآنية النازلةفيها انّ تلك المقامات حاصلة للصديقةعليها السلام، بغض النظر عن الاولوية المتقدمةويكون ما ورد فى مريمعليها السلام ما هو إلا مبين ما قد ورد فيهاعليها السلام وستكون الأولويةحاكمة فى معرفة وبيان مقاماتها بعد ذلك.

أولًا: مريم وتحديث الملائكة لها ... ص: ۴۴

ان ما ذكرناه من الاشارة الى مصحف فاطمة عليها السلام وكيفية نزول جبرئيل عليهاليسليها بمصاب أبيها بعدما دخلها من الحزن الشديد، لم يكن ذلك إلا حالة منحالات الوحى، إلا أنه وحى غير نبوى أثبته القرآن فى مواضع عديدة لرجالٍ ونساءكاملين فى مقام الحجية لقوله» وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابأو يرسل رسولًا «(«۱») ومعلوم أن ما وقع لمريم عليها السلام من وحى هو قسم أعظم من نزولجبرئيلعليه السلام وذلك لحصول القسم الأول لها مضافاً الى الثالث كما أن تقديم ذكره فىالترتيب فى قوله تعالى» وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً «لشرفيته على القسمينالثانى والثالث وهو الايحاء من وراء حجاب وارسال رسول يوحى باذن الله تعالى، والشاهد على حصول الأول لها قوله تعالى:» قالت ربّ أنّى يكون

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۵

لى ولد ولميمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكونويعلمه «... وفاعل قال ههنا هو الله تعالى لأنها وجهت قولها مخاطبة الله تعالىمتصلًا بالآيات السابقة فى سورة آل عمران» اذ قالت الملائكة يا مريم ان اللّه يبشركبكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة «... ففى الآياتالسابقة الاشارة الى نزول الملائكة عليها وقولها لها بالبشارة. ويشهد لكون الخطابوالقول هو من الله تعالى فى الآية المزبورة، أن القول لم يكن من جبرئيل كما قديتوهم اذ أن تمثّل جبرئيل لها والذى تستعرضه سورة مريم كان بعد مدة زمنيةفاصلة عن نزول الملائكة بالبشارة، ويشهد لذلك أيضاً أن مريمعليها السلام أعادت تعجبها» قالت أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغيّاً قال كذلك قال ربّك هو علىّهيّن ولأجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضياً «من دون توجيهه الى اللهتعالى، وكانت اجابة جبرئيل لها بتذكيره لجواب الله تعالى المتصل ببشارة الملائكةفى سورة آل عمران. وعلى ذلك فيظهر من سورة آل عمران أن الوحى الذى حصللمريم بُعيد الوحى بتوسط الملائكة بالبشارة، هو من الوحى بدون وساطة الرسولالملائكى ولم يكن تكليماً من وراء حجاب أى أنه من النمط الأول من أقسامالوحى المشار اليه فى سورة الشورى وهو أعلى أنماط الوحى كما يدلّ عليهالترتيب الذكرى، وهو لا يحصل فى الغالب إلا للأنبياء المرسلين من طبقة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۶

أولىالعزم وفى بعض حالاتهم. فهذه منقبة ومقام عظيم يتلوه القرآن الكريم لمريم بنتعمران. كما أن مفاد الوحى لمريم هو ابلاغها بنبوّة عيسى وبعثته بشريعة الانجيل، فكان تصديقها بكلمات الله وكتبه بتوسط الوحى الذى حصل لها، لا عبر نبىّمرسل وهو زكرياعليه

السلام أو يحيىعليه السلام وقبل تولّد ابنها النبى عيسىعليه السلام، فكانت قد أوكل اليها مسؤولية ابلاغ نبوة عيسىعليه السلام الى الملأ من قومها، وهذا نظير ما ورد فىالصديقة الزهراءعليها السلام من نزول اللوح الاخضر عليها المتضمن لأسماء الائمة عليهم السلاموما ورد من أن مصحفهاعليها السلام متضمن للوصية بالامامة فى ذريتها. كما أنها كانتمحدثة من قبل الملائكة كما كانت مريم مع أنها ليست بنبى، وقد روى الصدوق فىعلل الشرائع عن أبى عبدالله الصادقعليه السلام قال:» سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: انّماسميت فاطمةعليها السلام محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادى مريمبنت عمران فتقول: يا فاطمة انّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين يافاطمة اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها قالت لهم ذاتليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: ان مريم كانت سيدةنساء عالمها وان الله عزّوجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدةنساء الأولينوالآخرين «(«۱»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۷

على أن مريم أوحى اليها وكلّمتها الملائكة ولم تكن نبيّاً ولا رسولًا، فالتحديثلم يقتصر اذن على نبوّة الموحى اليه، بل يكفى ذلك أن يكون من حجج الله تعالى كما هو الحال فى مريمعليها السلام اذ كلّمتها الملائكة وحدّثتها بالبشارة، وقد دلّت مجموعةآيات على تحديثها منها:

قوله تعالى:» واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذتمن دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً، قالت إنّى أعوذ بالرحمنمنك إن كنت تقيا، قال انّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لىغلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا، قال كذلك قال ربّك هو علىّ هيّن ولنجعله آيةللناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضيا «(«۱»).

محاورة بين مريم وبين الوحى تُبيّن الاصطفاء الالهى المقدس الذى حضيت بهمريمعليها السلام، فتمثّل جبرئيل بشراً سوياً ليُلقى لها البشارة من الله تعالى ويكشف ذلكعن الدرجة التى بلغتها مريم كحجة من حجج الله تعالى، اذ التمثّل هذا نظير التمثّلالذى حدث لابراهيمعليه السلام عند اتيانه البشارة كما فى قوله تعالى:» ولقد جاءت رسلناابراهيم بالبشرى «(«۲») فكان البشارتين كانتا فى سياق واحد، وهو منح ابراهيم اسحاقويعقوب نبيين، كما منحت مريم عليها السلام

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۸

عيسى نبياً مرسلًا، فالتشابه فى مهمتى نبى اللهابراهيم لتلقيه البشرى فى اسحاق ويعقوب كمهمة مريم فى تلقيها البشارة الالهيةفى عيسىعليه السلام، وهذه البشارة الالهية لها دلالاتها الخطيرة فى مهام المبشر فضلًا عنالمبشَّر به.

على أن حالتى التمثّل لدى نبى الله ابراهيمعليه السلام هى نفسها حالة التمثل التىحصلت لمريم عليها السلام، والتمثل لم يكن تغيّراً فى المتمثل حقيقة، بل هو تغير فىظرف الادراك، فلا تغير اذن فى الخارج ولا فى نفس الماهية الملكية للوحى.

ومن هنا سيتبيّن عِظَم مسؤولية مريم عليها السلام من كونها فى مصافى الانبياء، وممنهداهم الله واجتباهم من غير النبيين وهى مريم عليها السلام التى تحتل مقام الحجية لله‌تعالى بما يقارب حجية الأنبياء إلا فى خصوصيات النبوّة والرسالة.

ولم تقتصر حالة التكليم للملائكة من قبل مريم، بل تترقى الى الوحى المباشرمع الله تعالى مع أن وحى الله تعالى كان قبل تمثّل جبرئيل لها.

قال تعالى حكاية عن مريم:» قالت ربّى أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون «(«۱»).

فالوحى الالهى المباشر الذى حظيت به مريمعليها السلام يكشف عن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۴۹

خطورة المنزلةالتى تحتلها مريمعليها السلام، اذ الوحى الالهى المباشر لا يختص به إلا بعض الأنبياء وفىأوقات خاصّة، وهذا نظير ما

حدث لزكرياعليه السلام حين كلّمته الملائكة وبشرته بيحيىومن ثم كان وحى الله تعالى له مباشرة يكشف عن حقيقة مهمة، وهى تشابه حالتىزكريا ومريم فى تلقى البشارة وتكليم الملائكة لهما ومن ثم تكليمها الله تعالى، فحالتا الاصطفاء والبشارة كما حدثت لنبى الله زكريا حدثت مثلها وفى ظرف زمانىمتقارب لحجة الله مريمعليها السلام، دليل على التقارب بين مهمتى المقامين، أى مقامالنبوّة لزكريا، ومقام الحجية لمريم، والآيات التالية تتكفّل ببيان المقام، قال تعالى:» فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب انّ الله يُبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة منالله وسيداً وحصوراً ونبياً فى الصالحين، قال ربّ أنّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبروامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء «(«۱»).

فتوارد النظائر فى الحالتين دليل على وجود ترابط ظاهر أو خفى بين حالتىنبوّة زكريّا وحجية مريم عليها السلام، والنظائر الواردة فى الآية للحالتين كما يلى:

اتيان البشارة لزكريا وتكليمه الملائكة أثناء عبادته لله تعالى فقال تعالى:» فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب «(«۲»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۰

كما أن البشارة لمريم وتكليمها الملائكة حين قيامها لله تعالى منتبذة قومهاقائمة لله قال تعالى» واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويا «(«۱»).

وتكليم نبى الله زكريا لله تعالى بلا واسطة، قال تعالى حكاية عن زكريا:» قالربّى انّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء «(«۲») وهو نظير ما حدث لمريمعليها السلام، قال تعالى حكاية عن مريم:» قالت ربّ أنّى يكون لىولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء «(«۳»).

فكلاهما عرضا مقتضى الامتناع عن قابليتهما لبشارة الغلام، اذ احتج زكريا كونامرأته عاقراً غير مقتضية للحمل وهى فى هذا السن المتقدم، ومريم احتجتبكونها غير قابلة للحمل لعدم امكان ذلك من دون زوج، وكان جوابه تعالى لهماواحداً:» قال كذلك الله يفعل ما يشاء «مما يدلل على وحدة المقام لكلاـ الحالتينحالة زكريا وحالة مريم فضلًا عن ارتباط المهمتين، والتشابه بين البشارتين تتكفلهسورة مريم، قال تعالى:» انّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۱

بكلمة من الله «(«۱»). على أنا لانغفل عما تقدم من دعاء زكريا من كون دعائه فى طلب الولد كان معللًا بخوفهالموالى من بعده أن لا يحسنوا خلافته، اذ كان زكريا مشفقاً على دعوته أن لا يخلفهاأحد من بعده، فهو سيخلف من ورائه موالى سوء، لا يحسنون خلافته فى دعوتهفضلًا عن وراثته مما ترك، مما يعنى أن يحيى سيواجه خطر التنافس على وراثة أبيهفضلًا عن عدم التصديق به من قبل قومه وموالیه، وكون هؤلاء يتحينون موت زكرياليتوثّبون على خلافته، وسيكون لمريم وابنها أثراً مهماً فى تأييد دعوة يحيىوتصديقه، إتماماً لرسالة زكريا ودعوته وحفظهما من الضياع الذى سيؤل اليهتنافس قومه، فمريمعليها السلام سيكون موقفهما موقف المدافع والمصدّق لرسالة زكريافى حفظ يحيى من تكذيب قومه ووثوبهم على خلافته، لكونهما يشتركان فىنفس المهمة.

وسيأتى التماثل بين فاطمة وبين مريم فى مقامى الحجية، فانّ فاطمةعليها السلام أيضاًأثبتت بحجيتها خلافة رسول اللهصلى الله عليه وآله المتمثلة فى على بن أبى طالبعليه السلام إبّانصراعها ومدافعتها المتوثبون للخلافة حيث تحفزوا أن يخرجوا وراثة الرسولصلى الله عليه وآلهمن آله عليهم السلام، تماماً كما تماثلت ظروف وراثة زكريا وما آلت اليه الخلافةالالهية ليحيى حيث قتلوه ونكلوا به أخيراً.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۲

حجية مريم بنت عمران عليها السلام ... ص: ۵۲

وحجيهٔ مريم صرّح بها القرآن بقوله تعالى» وجعلنا ابن مريم وأمّه آيهٔ «(«۱») والآيهٔ هى الحجهٔ أى جعلنا عيسى وأمّه حجهٔ، عن يحيى بن أبى القاسم عن أبىعبدالله‌عليه السلام فى قول الله عزّوجل» وجعلنا ابن مريم وأمّه آيهٔ «قال:» أى حجّهٔ «(«۲»)، فحجيّتها عليها السلام فى عرض حجيهٔ ولدها نبى الله، بل حجيتها سبقت حجيهٔ عيسى، كماأن حجيهٔ عيسى تلت حجيتها زماناً واقتضاءً.

فالترتب الزمانى بين الحجتين ظاهر، اذ كان تكليم الله لها وكذلك الملائكهٔ قبل‌ولادهٔ عيسى بفترهٔ، على أن السبق الزمنى لا يكون بالضرورهٔ لخصوصيهٔ معينهٔ، وانّما هى أشبه بحالات ارهاص لنبوّهٔ عيسى‌عليه السلام ولا شك أنها خصوصيهٔ عظيمهٔ‌ومنزلهٔ رفيعهٔ. فقوله تعالى» وجعلنا ابن مريم وأمّه آ يهٔ «أى انّ المسيح وأمّه كليهمامن أصول الديانهٔ المسيحيهٔ بل من الاعتقادات اللازم الاعتقاد بها عند المسلمين‌أيضاً لوجوب الايمان بكل كلمات الله وآياته وكتبه ورسله وآياته وحججه لقوله‌تعالى» آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربّه والمؤمنون كلٌ آمن باللّه وملائكته وكتبه‌ورُسله لا نُفرق بين

مقامات فاطمهٔ الزهراء(س) فى الكتاب والسنهٔ، ص: ۵۳

أحدٍ من رسله «(«۱»)، أى انّ مريم‌عليها السلام من الحجج الالهيهٔ. كما سيأتى‌بيان الآيات الأخرى المفسرهٔ لمعنى كونها آيهٔ.

كما أنها مقتضٍ لنبوّهٔ عيسى‌عليه السلام لكونها قد حضيت بتكليم الله تعالى فضلًا عن‌تحديث الملائكهٔ لها، وتلقيها البشارهٔ كما أن تبتلها ومقامها وفضلها كان احدى‌مرتكزات بنى اسرائيل كما يشير الى ذلك قوله تعالى» وما كنت لديهم اذ يلقون‌أقلامهم أيّهم يكفل مريم «(«۲») وقوله» وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليهاالمحراب وجد عندها رزقا «(«۳») مما أكد على مصداقيتها لديهم فكان قبول معجزهٔ‌عيسى ونبوّته بعد ذلك احدى موجبات حجيتها لديهم، لذا فان أخيارهم وعقلائهم‌قبلوا المعجزهٔ وسلّموا لها، وبقى جهالهم وطغاتهم يخوضون فى بهتانها وايذاءهاوهو شأنهم.

فأمُر الله تعالى لها بتحمّل مسؤوليهٔ الانجاب بطريقهٔ المعجزهٔ من دون زوج‌احدى مقتضيات نبوّهٔ عيسى وشريعته المباركهٔ، فحجيتهاعليها السلام هى من حيث أنهاالمبلّغ الأول لبعثهٔ النبى عيسى وشريعته المسيحيهٔ، حيث أنها أمرت من قبل الله‌تعالى بتحمل مسؤليهٔ الانجاب بطريقهٔ المعجزهٔ من دون فحل ليمهد الطريق لبيان‌المعجزهٔ لنبوّهٔ عيسى وشريعته، ثم أمرت من قبله تعالى بحمله

مقامات فاطمهٔ الزهراء(س) فى الكتاب والسنهٔ، ص: ۵۴

والمجىء به الى بنى‌اسرائيل وأن لا تكلمهم وأن تشير اليه ليستنطقوه فيتكلّم فى المهد فهى قد قامت‌بكل هذه المسؤوليات الموظفهٔ من قبله تعالى لها لتبليغ واظهار المعجزهٔ الاولى‌على نبوّهٔ عيسى‌عليه السلام وكان ذلك عن اعتقاد منها بنبوهٔ عيسى بتوسط ما أوحى لها من‌دون وساطهٔ النبى زكريا أو غيره من الانبياء فى زمانه، فهى ابتدأت بابلاغ شريعهٔ‌جديدهٔ من دون أخذ هذا الامر الالهى ذو الشأن العظيم الخطير من نبى ولا- رسول‌ولا بوساطهٔ النبى عيسى أيضاً، وهذا ما تعنيه الآيهٔ الكريمهٔ» وجعلنا ابن مريم وأمّه‌آيهٔ «فلولا حجيهٔ مريم وحجيهٔ ما يوحى اليها لكان بامكانها ابطال المعجزهٔ الالهيهٔ‌وهى ولادهٔ عيسيى من دون أب، بأن تدعى- والعياذ بالله- أنه لقيط وجدته فى‌الطريق أو أنها ولدته عن زوج غائب أو ما شابه ذلك، فانظر الى مقام كمال حجيتهاودورها فى ابلاغ الرسالهٔ فى قوله تعالى» فأشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى‌المهد صبيا «. فهذاالنمط من المجاهدهٔ والمخاطرهٔ بالعرض بأمر من الله تعالى‌وتعيين منه، فهو حكمهٔ بالغهٔ من الله تعالى فى اختيار هذا النمط من الجهاد، بحيث‌لا يتأدى اقامهٔ الدين إلا بذلك من دون تدنس وابتذال فى العِرضْ ولا زوال لطهارته‌وعصمهٔ مناعته، وانّما هى مخاطرهٔ ظاهريهٔ بالسمعهٔ، وهذا نظير ما وقع لعترهٔ‌النبى‌صلى الله عليه وآله بعد واقعهٔ كربلاء المفجعهٔ، حيث كان فضح بنى أميهٔ وزيغهم، عن الدين‌وعدائهم لصاحب الرسالهٔ لا يتم إلا بالمخاطرهٔ بعيالات النبوهٔ

مقامات فاطمهٔ الزهراء(س) فى الكتاب والسنهٔ، ص: ۵۵

وتعريضهم للسبى‌من قبل بنى أميهٔ، ووقوف عقيلهٔ بنى هاشم وخفِرهٔ الطالبيين فى مجلس الطاغيهٔ ابن‌زياد ومجلس يزيد والقاء خطبها لبيان حقانيهٔ سيد الشهداءعليه السلام وبطلان بنى أميهٔ‌وحزبهم.

اذن فما جرى للسيدهٔ مريم عليها السلام من المخاطرهٔ بحرمتها وقدسيتها قد جرى على‌حرمهٔ وقدسيهٔ فاطمهٔ‌عليها السلام اذ خاطرت

بحرمتها وقدسها فى الذب عن امامة علىعليه السلاموذلك بالتصدى للمهاجمين على بيتهعليه السلام، فكان فى ذلك فضح لكل ستار يتخفىمن ورائه أصحاب السقيفة لغصب الخلافة وتحريف مسيرتها فى الامة، ومن ثَمأحس الخليفة الاول بانتصار قضية علىعليه السلام فى الامامة، وادحاض دعواه وصحبهفلم يمسك غيضه حتى تكلم بهجين الكلام وهو على منبر رسول اللهصلى الله عليه وآله كما نقلذلك ابن ابى الحديد («۱»).

فبلوغ مريم الى مراتب الحجية كان سبباً فى تأسيس الشريعة العيسوية واكتمالها.

كما أن حمل المولود المعجزة والمجيء به الى قومها تُعد احدى أخطر مهامهاوأصعبها تحمّلًا فهى مجاهدة ومخاطرة بالعِرض وهو أشد للغيارى من قتل النفس. اذ لم يكن من اليسير أن تتحمل أقدس عفيفة فى زمانها مسؤولية التهمة والبهتانومحاولة تحدى أمّة لم تصل الى مستوى الرشد، بل لازالت فى حضيض الجهلوالسوء

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۶

فكانت معاناتها النفسية مما هى فيه من الاستحياء ومخافة اللوم ما ادّى بهاالى تمنى الموت» قالت يا ليتنى متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً «(«۱») قال ابو عبداللّه الصادق عليه السلام:» لأنها لم ترَ فى قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها من السوء «(«۲») مما يكشفشدة معاناتها ووطأة المهمة الملقاة على عاتقها، الا أن ذلك لم يفتَّ فى عضدها، ولم يحبط همّتها، ولم يزعزع تسليمها وانصياعها وطاعتها لله تعالى ولأمره شعرة، بل ذهبت مع ما فيها من آلام التوجسات والخواطر، تحمل ولدها المعجزة لتثبتبكل تسليم واقتدار تحمّل المسؤولية المباركة، ويكشف فى الوقت نفسه ما وصلتاليه من الاكتمال فى التسليم والانصياع وتحمل المسؤولية من حين تحديثهاالملائكة وقبولها لذلك، ولم يصدر منها أدنى تردد أو اعتذار لقبول المهمة، ممايعنى بكل تأكيد كونها طرفاً مهماً فى بلوغ الرسالة العيسوية هذا المبلغ من الاقتدارعلى تحدى طغام بنى اسرائيل ولئامهم وزحفها مخترقة كل حواجز اليهودية المتربصة لرسالات السماء. فتلخص:

أولًا: أن الذى بدأ بإبلاغ بعثة النبى عيسى هى مريمعليها السلام وهو نمط فريد فى بعثةالرسالات الالهية أن يكون الحامل الاول للبعثة هى امرأة.

ثانيا: انّه يدلل على كمال ايمان مريم بما اوحى لها من الاوامر الالهية من دونتوسط نبى فيما بينها وبين الله تعالى.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۷

ثالثاً: انّه يدل على حجية الوحى للمرأة المصطفاة المطهرة، ولو قدّر- العياذبالله- أن مريم لم تؤمن بما اوحى اليها ولم تمتثل ما أمرت به مباشرة لكان فى ذلكإحقاق للمعجزة الالهية على نبوّة عيسى وبعثته بديانة ناسخة لشريعة موسىعليه السلام، أى ولادته من غير أب، فمن ثم كانت عصمة مريم وانها من الصفوة المنتجبةللحجية على العباد آية الهية مع إبنها، على حقانية بعثة ونبوّة وشريعة النبىعيسىعليه السلام فى زمانه، فمن ثَم جُعلت من أصول الديانة والشريعة العيسوية كما قال تعالى» وجعلنا ابن مريم وأمّه آية «بل هذه الآية الالهية واجبة الاعتقاد فى الشريعة الاسلامية لوجوب الاعتقاد بكل آيات الله وكلماته وكتبه ورسله، وسيأتى نظير هذاالمقام للزهراءعليها السلام حيث احتج الله تعالى بها على حقانية نبوّة سيد المرسلين وبعثتهوشريعته كما فى آية المباهلة، واعطاها الله تعالى مقام ودور صاحب الدعوة للدينمن قبله تعالى، وأن الخمسة أصحاب الكساء صادقون فيما يبلغونه عن الله تعالىمن شريعة الاسلام ونبوّة سيد الرسل.

كما أن حجية مريمعليها السلام اصلًا من أصول الديانة المسيحية، اذ كونها هى وابنهاآية، أى حجة يجب على معتنقى المسيحية التسليم لها وقبولها والاعتقاد بها فهىالمتمم لحجية عيسى ورسالته.

فنرى أن القرآن الكريم فى السور العديدة لا يدحض اعتقاد المسيحيين والنصارى فى جعلهم مريم وعيسى كليهما من أصول

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۸

الاعتقاد والديانة بل يدحض تأليههم لهما، فلا يخطّئهم فى كونهما من أصول الدين بل غاية الامر أنه يحددغلوهم الذى هو فى تأليههم فى مريم وعيسى، فيؤكد القرآن على بشريتهما مع تصريحه بكونهما معاً آية وحجّة.

قال تعالى:» واذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم ءأنت قُلتَ للناس اتخذونى وأُمّىإلهين من دون اللّه «(«۱») وقوله تعالى:» ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبلهالرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام «(«۲»).

مراحل الاعداد والاصطفاء ... ص: ۵۸

ولم تزل مريم ابنت عمران تحضى برعاية الرب ورضوانه طالما نذرت نفسهالطاعته وعبادته وانقطاعها اليه، فيغدقها بالرحمة ويحبوها بالكرامة ومن ثميصطفيها لحجيته ويطهرها على نساء العالمين.

ولم يكن الاصطفاء إلا بعد مراحل تتدرج فيها مريم ابنت عمران فقبولها منقبل الله قبولًا حسناً وانباتها إنباتاً حسناً ومن ثم فهى تحت قيمومة النبوّة ورعايةالرسالة، أمر موجب لخصائص الاصطفاء والتطهير لتلك المرأة التى سلّمت ارادتهاللمرأة الصالحة- امرأة عمران أمّها التقية- حين نذرت ما فى بطنها محرراً لله تعالى، وبالفعل تستجيب تلك الطاهرة لارادة الله فتنقاد مسلّمة لطاعته

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۵۹

وعبادته، وهى أولمرحلة تظهر فيها مريم قابليتها على الاصطفاء وقدرتها على تلقى ارادات اللهتعالى، وإلا فمن غير اليسير أن تستجيب فتاة فى الانقطاع عن الدنيا وملذاتها لتبتلهاللوفاء بنذر أمّها حتى كانت تحت ارادتها طيّعة بارّة مطمئنة بقضاء الله تعالى عابدةمتبتلة بكل ايمان وشوق وانقياد مما يكشف عن مكنون الايمان الذى أودع فىمطاوى تلك النفس الكريمة واستحقاقها بكل جدارة تحمّل المسؤولية الإلهية فىالحجية والاصطفاء قال تعالى:» اذ قالت امرأة عمران ربّ انّى نذرت لك ما فى بطنىمحرراً فتقبّل منّى انّك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت ربّ انّى وضعتها انثى واللهأعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإنّى سميتها مريم وانّى أعيذها بك وذريتها منالشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخلعليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله انّالله يرزق من يشاء بغير حساب «(«۱»).

فالاعداد لكى تكون مريم محلًا صالحاً للحجية يجرى تحت رعاية الله تعالىوبقيمومة زكريا نبى الله الذى أوكل بمهمة الاعداد هذه.

ومن هنا فستكون مراحل الاعداد لفاطمة الزهراءعليها السلام تشمل مرحلتين:

الاولى: اعداد النبى صلى الله عليه وآله لتلقى هذه الكرامة وقبولها.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۰

و الثانية: اعدادهاعليها السلام تحت رعاية الرسالة وقيمومة النبوّة، وقد قال تعالى فىمناقب مريم» وكفّلها زكريا «، وفاطمةعليها السلام قد كفّلها سيد الانبياء فضلًا عن سيدالأوصياء، فتلك المنقبة لها بنحو أرفع وأعظم.

اذن فبعدما بلغت مريم مراتب الكمال لقابلية الاصطفاء نادتها الملائكة ببشارةالاصطفاء» واذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساءالعالمين «(«۱») والآية معطوفة على قوله تعالى» انّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيموآل عمران على العالمين «(«۲») مما يعنى انّ اصطفاء مريم كان بمستوى اصطفاءالانبياء من آدم ونوح وآل ابراهيم أى اصطفاءً نبوياً تختلف ماهيته بحسب حيثياتالنبوّة والامامة التى لا تكون إلا فى سنخ الرجال بخصوصيات ليس هنا محل بحثها.

فاصطفاءها الاول هو قبولها لعبادة الله ومن ثم تطهيرها بعصمة الله وبالتالى اصطفائها لحجيته، فمراحل الاصطفاء تتدرج من نشأتها وتترقّى بتطهيرها وتكتمل بحجيتها.

التشريك فى النعمة ... تشريك فى الحجّية ... ص: ۶۰

واذا خصّ الله عيسى برسالته وهو نبيّه، فانّ مريم ابنت عمران اشتركت فى نعم‌الله السابغة مع نبيّه، أى تكون الاشتراك فى النعمة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۱

دالّة على القرب الى الله ورفيع‌المنزلة والكرامة لديه، مما يعنى وجود اشتراك فى سنخية المهمة بين عيسى ومريم‌ابنت عمران، قال تعالى» اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى‌والدتك اذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس فى المهد وكهلًا واذ علمتك الكتاب‌والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون‌طيراً باذنى وتُبرىء الاكمه والابرص باذنّى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى‌اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم انّ هذا إلا سحر مبين «(«۱»).

وهذه النعمة نعمة لدنيّة الهية خاصة بالمصطفين من اوليائه نظير قول سليمان» ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ «(«۲») وهى النعمة التى‌أشار اليها تعالى عندما ادرج مريم فى مصافى الانبياء والرسل فى سورة مريم حيث‌قال تعالى» ذكر رحمة ربّك عبده زكريا «وقال:» واذكر فى الكتاب مريم «بعد ذكريحيى ثم ذكر عيسى فقال» واذكر فى الكتاب ابراهيم انّه كان صديقاً نبيا «ثم ذكراسحاق ويعقوب ثم قال» واذكر فى الكتاب موسى انّه كان مخلصاً نبيا «ثم قال» واذكر فى الكتاب اسماعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولًا

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۲

نبياً «ثم قال» واذكر فى‌الكتاب ادريس انّه كان صديقاً نبيا «وكان قد ذكر لكل واحد منهم ما وهب الله له، فوهب لزكريا يحيى ووهب لمريم عيسى، ووهب لابراهيم اسحاق ويعقوب، ووهب لهم من رحمته وجعل لهم لسان صدق ووهب لموسى أخاه هارون نبيا، ثم‌قال تعالى فى نهاية المطاف» اؤلئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم‌وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممّن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم‌آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً «(«۱») فأدرج مريم فى من هدى واجتبى فى مصافى‌الانبياء، وانّ نعمة الاجتباء والاصطفاء فى مضاهاة نعمة النبوّة لكونهما من النعم‌اللدنية من نعم الله تعالى.

فتماثل النعمة دالّ عليه الذكر المشترك الذى عنى بهما القرآن لقوله تعالى» اذقال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك «فعدم اختصاصه بالنعمةواشتراك والدته بالذكر دليل على النعم المشتركة التى فضل الله بهما حجية عيسى‌ومريم، فالامتنان الالهى على كلا المذكورين يستوجب اشتراكهما بجميع ما أوردته‌الآية الكريمة.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۳

الاعتقاد بحجية مريم ومقامها من خصوصيات الدين‌الاسلامى ... ص: ۶۳

على أننا نؤكد فى الوقت نفسه أن هذا الاعتقاد بحجية مريم ومقامها احدى‌خصوصيات دين الاسلام الحنيف، الذى تؤكد تعظيم مقام المرأة وامكانها بلوغ‌الكمال والرشد، وذلك بفضل الطاعة لله تعالى والتقوى والعفّة، ولا يكتفى الاسلام بالشعارات التافهة التى ترفعها الحضارة الغربية والتى لم ترَ أدنى قابلية الرشدوالكمال للمرأة كما تراه الاسلام فى نماذجه الطاهرة العفيفة، كمريم بنت عمران وفاطمة الزهراء عليهما السلام، اذ دعوى الحضارة الغربية بالدفاع عن حقوق المرأةوتكريمها تتكاذب مع ممارساتها اللاانسانية فى اضعاف مقام المرأة وتسقيطه الى‌مستوى العبث والمتعة، فضلًا عن الغاء اعتقادها بمقام مريم وعظمتها وشرف‌مسؤوليتها فى انبثاق الديانة المسيحية لكمال حجيتها التى من المفترض أن تكون‌من دواعى الديانة المسيحية، إلا أن الحضارة الغربية المطالبة بحقوق المرأة تغفل‌عما حضيت به المرأة من المقام السامى والشأن الكريم لدى الدين الاسلامى، فالعقيدة الاسلامية بمقام السيدة مريم وجهدها فى نشوء الرسالة العيسويةوحجيتها الالهية، فضلًا عن المسؤولية العظمى والحجية الكبرى التى تختص بهافاطمة الزهراءعليها السلام احدى دواعى الاعتزاز بهذين المقامين

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۴

الشامخين اللذين كرمهماالله تعالى بحجيته.

فالمطالبة بحقوق المرأة تكمن حقيقته فى تحديد رسالتها السامية بتربيتها للأمةتربية صالحة، وباستطاعتها كذلك هدايتها للامة هداية تتناسب وتوجهات سعادتهاوكمالها كما هو الحال فى شأن مريم بنت عمرانعليها السلام وهدايتها للامة من خلالحجيتها التى منحها الله تعالى تكريماً لها، وكما فى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام التى اثبتت لياقتها التامة فى تحمّلها مسؤولية تشخيص الانحرافات العقائدية والسياسية بُعيد وفاة النبىصلى الله عليه وآله مستخدمة حجيتها التى منحها الله تعالى، وهذا مالم تجده فى أية حضارة اخرى تدّعى المطالبة بحقوق المرأة حتى تجعلهاوسيلة لهو ومتعة تتداعى من خلالها كل شعارات الحرية الوضعية البعيدة عن النهجالرسالى القويم.

الوسط الاسلامى ... والتطرف المسيحى ... ص: ۶۴

ولم تهتدِ المسيحية لابتعادها عن الحق فى تشخصيص مقام مريم وابنهاالمسيح، فتطرّفت فى ذلك حتى جعلت المسيح ثالث ثلاثة، وألّهت المسيح وأمّه، وقد عالج الاسلام هذه المشكلة الفكرية التى وقعت بها المسيحية لابتعادها عنحقيقة تعاليمها السماوية، وأبطل أول الأمر الألوهية لهذين العبدين القانتين للهتعالى، وأكّد خضوع المسيح وعبوديته لله سبحانه» وقال المسيح يا بنى اسرائيلاعبدوا الله ربّى وربّكم انّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۵

الجنّة ومأواه النار ومالظالمين من أنصار «(«۱») اذ حدد مهمة عيسى أولًا وهى العبودية المحضة والطاعةالخالصة لله الواحد الأحد، ودون ذلك شرك وظلم يستحق معتقده النار، ثم أشارالى بشرية مريم وأمّه وأكد أنهما بشرين وأنهما نالا مقام الحجية لله تعالى بطاعتهما وعبادتهما له، فأشار لاحدهما بالرسالة وللآخر بالحجّية بقوله» ما المسيح ابن مريمإلا رسولًا قد خلت من قبله الرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهمالآيات ثم انظر أنّى يؤفكون «(«۲»)، فالاسلام أكد حدود بشريتهما أولًا ثم أشار الىحجيتهما ثانياً بطاعتهما وعبوديتهما لله تعالى، ومع ذلك كلّه لم يجد الكافرون غيرالتكذيب والأفك امّا معاداة أو علواً ومن ثم على الله تعالى بادعائهم ألوهيتهما، لذافانّ القرآن يصرّح بكل شدة الى كفر من قال انّ المسيح هو الله،» لقد كفر الذينقالوا انّ الله هو المسيح ابن مريم «(«۳») ولم يكتفوا هؤلاء بغيّهم وكفرهم حتى جعلواالله ثالث ثلاثة وأشار الى كفرهم» لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلاالله واحد «(«۴») فقد دأب القرآن الكريم الى كشف هذه الاعتقادات المزيّفة وفضحهالغرض تقنين المعتقد

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۶

وعدم تسيّب الفكر بسبب الدوافع العاطفية والتى تؤول الىفوضى فكرية حقيقية، فحدد القرآن معالم هذا المعتقد وأطّره ضمن مبادىءومسلّمات عقائدية والخروج عن هذه الدائرة الفكرية سيؤول الى الغلو والضلال» يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابنمريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثةانتهوا خيراً لكم انّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السماوات وما فىالارض وكفى بالله وكيلًا «(«۱»).

فالقرآن كما استنكر على النصارى غلوهم فى المسيح وأمّه، كذلك استنكر علىاليهود تقصيرهم فى الاقرار بمقامهما والعداء لهما والخصومة، فهو كما ينفى الغلوينفى التقصير فى التسليم لهما فى الحجية، فلا حجيتهما تستدعى الالوهية ولابشريتهما تستدعى عدم الحجية وهذا ما يركز عليه القرآن الكريم فى كثير منالانبياء والرسل كما فى قوله تعالى تعليماً لنبيّهصلى الله عليه وآله» قل انّما أنا بشر مثلكم يوحىالىّ «فالوحى لا ينفى البشرية ولا البشرية تنفى تميزه واختصاصه بالوحى، وقولهتعالى حكاية عن ابراهيم» يا أبت انّى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدكصراطاً سويا «. وكذا بقية الانبياء حسبما يذكره القرآن الكريم مع أقوامهم فانهم فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۷

الغالب يقعون فى أحد الطرفين اما التقصير وظن أن البشرية تنفى الحجية والارتباطبالغيب، أو الغلو وأن الارتباط بالغيب ينفى البشرية، كما حصل لليهود فى عزيز، فالطريقة الوسطى والمحجة الواضحة هو نفى كل منهما، والتسليم بالحجية وأنهمبشر ينفى الافراط والتفريط، كما ينفى المعاداة لأولياء الله، فالوظيفة اتجاه حججالله أن لا يكون الفرد من الغالين المفوضين، ولا من الناصبين المعاديين ولا منالمقصرين المرتابين، كما ورد فى الزيارة الجامعة الكبيرة:» فالراغب عنكم مارقواللازم لكم لاحق والمقصّر فى حقّكم زاهق «.

فبعد أن حدد ماهية المسيح البشرية وأشار الى رسالته، نهى الخروج عن دائرةهذا التشخيص والقول بخلاف هذه الحدود البشرية لرسول الله المسيح وأمّهالصديقة.

أما ما يشهد للتشريك بالحجية، فضلًا عن اشتراكهما فى ذكر النعم والمننعليهما من قبل الله تعالى فلقوله تعالى» وجعلنا ابن مريم وأمّه آى ة «والآية هىالحجة كما هو معلوم عن أبى عبدالله‌عليه السلام فى قول الله عزّوجل:» وجعلنا ابن مريموأمّه آية «قال:» أى حجة «(«۱»)، فاقترانهما فى ذكر كونهما آية دليل على تقاربحجيتهما واشتراكهما كذلك.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۸

التشابه بين مقامى مريم وفاطمةعليهما السلام ... ص: ۶۸

وغرضنا من الاسهاب فى مقام مريم عليها السلام سيتضح اذا ما عرفنا أن وحدة المناطبين مقامى مريم وفاطمة عليهما السلام سيكون بالأولوية القطعية المسلّمة لدىالفريقين.

فاذا كانت مريم سيدة نساء زمانها قد حازت على تلك المقامات الساميةالتىشهد بها القرآن الكريم من الاصطفاء والعصمة، فانّ فاطمة سيدة نساء العالمين منالأولين والأخرين («۱») ستكون لها تلك المقامات التى تثبت حجيتها كذلك بل انّتصريح القرآن بمقامات فاطمة الزهراءعليها السلام يضاهى ويعظم عمّا صرّح به فىمقامات مريم فيغنينا فى الاستدلال عن الاولوية وان كانت هى حقيقة ثابتة فىروايات الفريقين فليس بدعاً اذن أن تعتقد الامامية ما تعتقده فى فاطمة الزهراء عليها السلام، فصريح القرآن يثبت حجية مريم بما لها من المقامات الالهية الثابتة وهى حجةلاحدى الشرائع السماوية فكيف بفاطمة الزهراءعليها السلام وقد أثبت لها صريح القرآندخولها تحت عنوان

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۶۹

أهل البيت الذى شمل نبى الشريعة الخاتمة! مما يعنى أن هناكمقامات يشترك بها أهل البيت تخصصها بعد ذلك رتبهم الإلهية.

قال تعالى:» انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً «(«۱»).

اتفق الفريقان على نزولها فى أهل البيت، محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

أخرج السيوطى عن ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أمّسلمة رضى الله عنها زوج النبىصلى الله عليه وآله: أن رسول اللهصلى الله عليه وآله كان ببيتها على منامة له عليه‌كساء خيبرى، فجاءت فاطمة رضى الله عنها ببرمة فيها حريرة فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله:» ادعى زوجك وابنيك حسناً وحسيناً «فدعتهم، فبينما هم يأكلون اذ نزلت على رسولاللهصلى الله عليه وآله» انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً «فأخذالنبىصلى الله عليه وآله بفضلة ازاره فغشاهم اياها، ثم اخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماءثم قال:» اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً «قالهاثلاث مرات، قالت أم سلمة رضى الله عنها فأدخلت رأسى فى الستر فقلت: يارسول الله وأنا معكم فقال:» انك الى خير «مرتين («۲») هذاما أخرجه أهل السنّة فىشأن نزولها ولعلّ طرقها بلغت العشرات

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۰

لتصل الى حد التواتر دون أدنى ريب.

وما رواه الامامية من طرقهم كثير إلا أننا سنختصر على ما أورده صاحب البرهانفى تفسيره من رواية عن أبى عبدالله‌عليه السلام عن أبى بصير قال:» سألت أبا عبدالله عن‌قول الله عزّوجل:» وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم «قال: نزلت فى‌على بن أبى طالب والحسن والحسين‌عليهم السلام فقلت له: انّ الناس يقولون فما له لم يسمّ علياًوأهل بيته‌عليهم السلام فى كتاب الله عزّوجل؟ قال: قولوا لهم انّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه‌الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله‌صلى الله عليه وآله هو الذى فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله‌صلى الله عليه وآله هوالذى فسّر ذلك لهم ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا سبعاً وكان رسول الله‌صلى الله عليه وآله هو الذى‌فسّر ذلك لهم، ونزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ونزلت فى على‌والحسن والحسين عليهم السلام فقال رسول الله‌صلى الله عليه وآله فى على من كنت مولاه فعلى‌مولاه، وقال‌عليه السلام: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتى فانى سألت الله عزّوجل أن لا يفرق‌بينهما حتى يوردهما على الحوض فاعطانى ذلك، وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم‌وقال: ثم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم فى باب ضلالة فلو سكت رسول‌الله‌صلى الله عليه وآله فلم يبيّن من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ولكن الله عزوجل نزل فى‌كتابه تصديقاً لنبيّه‌صلى الله عليه وآله» انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم‌تطهيراً «فكان على والحسن والحسين

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۱

وفاطمة‌عليهم السلام فأدخلهم رسول الله‌صلى الله عليه وآله تحت‌الكساء فى بيت أمّ سلمة ثم قال:» اللهمّ انّ لكل نبىّ أهلًا وثقلًا وهؤلاء أهل بيتى وثقلى «فقالت أمّ سلمة ألست من أهلك؟ فقال:» انّك الى خير ولكن هؤلاء أهلى وثقلى «فلماقبض رسول الله‌صلى الله عليه وآله كان علىّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله‌صلى الله عليه وآله وأقامه‌للناس وأخذ بيده فلما مضى علىّ لم يكن يستطيع على ولم يكن ليفعل ان يدخل محمدبن على والعباس بن على ولا أحداً من ولده اذاً لقال الحسن والحسين ان الله تبارك‌وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلّغ فينا رسول الله‌صلى الله عليه وآله‌كما بلّغ فيك واذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك («... ۱»)

والذى يعنينا من هذه الرواية على طولها:

انّ هناك اشتراك فى حيثيات الحجية لأهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهيروخصصتهم الروايات المتواترة من قبل الفريقين بأنهم رسول الله‌صلى الله عليه وآله وعلى‌وفاطمة والحسن والحسين‌عليهم السلام، لذا فقول الامام‌عليه السلام» اذاً لقال الحسن والحسين انّ الله‌تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلّغ فينا رسول‌الله‌صلى الله عليه وآله كما بلّغ فيك واذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك «... مما يعنى ان إذهاب‌الرجس عنهم له خصوصية فى اثبات الحجية، فكما سيحتج الحسنان لاثبات‌حجيتهما بآية التطهير فانّ لفاطة الحجية

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۲

كذلك منتزعة من آية التطهير ولإذهاب‌الرجس عنهاعليها السلام. وتلخّص من ذلك: أنه كما أُثبتت حجية السيدة مريم‌عليها السلام‌باصطفائها وتطهيرها لقوله تعالى» واذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفاك وطهرك‌واصطفاك على نساء العالمين «(«۱») أمكن اثبات حجية السيدة فاطمة‌عليها السلام باصطفائها و تطهيرها للأولوية، ووجه الاولوية أن فاطمة عليها السلام قد تم اصطفائها وتطهيرها بآية‌التطهير مع النبى‌صلى الله عليه وآله وعلى والحسنان‌عليهم السلام الذين ثبتت حجيتهم القطعية لكون الآية‌مشيرة الى اشتراك الحكم بين أهل البيت‌عليهم السلام الذين كانوا تحت الكساء ومنهم‌فاطمة‌عليها السلام. وخصوص المطهّر فى الأمّة الاسلامية فى شريعة هذا الدين قد أثبت له‌القرآن وصف آخر وهو مس الكتاب المكنون الذى فيه حقيقة القرآن وذلك فى‌قوله تعالى» فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم انّه لقرآن كريم فى‌كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من ربّ العالمين أفبهذا

الحديث أنتم مدهنونوتجعلون رزقكم أن تكذّبون «(«۲») ففى الآية قد عظّم الله تعالى القسم فيها بوجوهعديدة لا تخفى على المتأمل فى تركيب ألفاظ الآية التى قد تربو على السبعة وجوه كل ذلك لتأكيد القضية التى أراد القسم عليها ثم أكد القضية بوجهين آخرين أيضاًمما يدلّ على أن القضية خبرية وليست انشائية

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۳

والمخبر به هو كون القرآن ذوحقيقة تكوينية مكنونة علوية، وأن المصحف المنقوش بين الدفتين تنزيل لتلكالحقيقة من دون تجافى تلك الحقيقة التكوينية المحفوظة فى كِن القرآن عن‌موقعها العلوى، وأن تلك الحقيقة لا يصل اليها ولا يدركها الا المطهر فى شرع‌الاسلام.

والكتاب المكنون هذا الذى فيه حقيقة القرآن قد وصف فى سورة الانعام بأنه‌الذى يُستطر فيه كل رطب ويابس، وفيه ما من غائبة كما فى قوله تعالى» وعنده‌مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة ولا حبة فى‌ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين «(«۱») وقوله تعالى» ويمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب «(«۲») وقوله تعالى» وما من غائبة فى السماء والارض إلافى كتاب مبين «(«۳») وقوله تعالى» ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى‌ورحمة «(«۴») وقوله تعالى:» عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات والارض‌ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين «(«۵») وقوله تعالى» وما تحمل من أنثى‌ولا تضع إلا بعلمه وما

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۴

يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب ان ذلك على اللهيسير «(«۱»). فقد وصف الكتاب بأوصاف جامعة محيطة بكل مغيبات الخلقة المستقبلية، ما هو كائن وما يكون وما هو خفى فى النشآت العلوية، ومن ثم كان‌مصحف فاطمةعليها السلام مشتملًا على الأخبار بالأمور المستقبلية بما كان وما هو كائن، الدال على أن احاطتهاعليها السلام بذلك لاحاطتها بحقيقة القرآن العلوية فى الكتاب‌المكنون بعد دلالة آية التطهير كونها مطهرة من كل رجس ودلالة سورة الواقعة على‌أنّ كل مطهر فى هذه الشريعة يمس الكتاب المكنون، وهذا مقام لم تصل اليه مريم، بل هو خاص كما ذكرنا بالمطهرين فى شرع الاسلام دون المعصومين بل الشرائع‌السابقة.

فاطمةعليها السلام فوق مقام الأبرار ... ص: ۷۴

قال تعالى:» انّ الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباداللهيفجرونها تفجيراً، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويُطعمون الطعام‌على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولاشكوراً «(«۲»).

وصفٌ لحال الأبرار الذين نعموا برضوان الله تعالى وكرامته

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۵

وبيان لمقامهم، وأظهر مصاديق هذا المقام الكريم انّهم يشربون كأساً صفته ممزوج بكافور.

ثم تنتقل الآية الى وصف هذه العين التى هى شراب المقربين، وهى عين يتولى‌أمرها عباد الله اذ يفجرونها تفجيراً، فمن هم هؤلاء الذين يتولون تفجير هذه العين‌وأمرها، ومن ثَمَ يسقون منها الابرار؟

ان الآية تكفّلت ببيان هؤلاء المتولين لأمر هذه العين وهم عباد الله الذين‌صفاتهم:

۱- يوفون بالنذر.

۲- يخافون يوم القيامة الذى يكون شره مستطيراً مهولًا.

۳- يطعمون المسكين واليتيم والأسير لله تعالى عطاءً خالصاً لا يرجون من‌غيره جزاءً ولا شكوراً.

فمن هؤلاء اذن؟

اتّفق الفريقان أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام.

فقد أورد الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل بأربع وعشرين طريقاً أنها نزلتفى على وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام وخلاصة القصة انّهمعليهم السلام السلام نذروا إنعوفى الحسنان أن يصوموا لله تعالى ثلاثاً، فلمّا عوفيا، وفوا بنذرهم فجاءهم فىاليوم الاول مسكين فأعطوه طعامهم وسألهم فى اليوم الثانى يتيم فأعطوه طعامهمووقف ببابهم أسير فأعطوه طعامهم فباتوا ثلاثاً طاويين

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۶

فانزل الله بهم هذه الآيات، فثبتت صفة عباد الله الذين يفجرون هذه العين لهمعليهم السلام.

فاذن هم الذين يفجرون عين الكافور ويفيضون منها على الابرار ليمتزجشرابهم بقليل من العين أى أنها واسطة فيض على الابرار ولهم القيمومة التامة علىذلك، وهذا يطابق قيمومتهم على الابرار وانّهم المقرّبون فى قوله تعالى:» كلاـ انكتاب الابرار لفى عليين، وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون «(«۱»).

فشهادة كتاب الابرار من قبل المقربين دليل على قيمومة المقربين على الابراروشهادتهم عليهم، فالمقربون هم الشهداء على كتاب الابرار أى أعمالهم، ولذلكورد فى الزيارة الجامعة الكبيرة» أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دارالبقاء.. «وفى موضع اخر من الزيارة» شهداء على خلقه وأعلاماً لعباده «هذه هىشهادة المقربون وهيمنتهم على الابرار، والمقرّبون هؤلاء هم السابقون الذينوصفتهم الآية بقوله تعالى» والسابقون السابقون اؤلئك المقربون «(«۲») مع أن سورةالدهر لم تزل فى سياقات وصف المقربين وهم الذين يوفون بالنذر» يوفون بالنذرويخافون يوماً كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انّمانطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۷

انّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريرافوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً متكئينفيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفهاتذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضّةٍ وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروهاتقديرا ويُسقونَ فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا، عيناً فيها تسمى سلسبيلًا «(«۱») هذا حالالمقربين، ويطابق هذا الوصف لعباد الله وارتفاع مقامهم عن الابرار ما فى سورةالمطففين من قوله تعالى» كلاـ انّ كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتابمرقوم يشهده المقربون انّ الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههمنضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون و مزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون «(«۲») فهذه الآيات تشير ايضاً الى أنالمقربين واسطة فيض للابرار وهم الذين يمزجون شراب الابرار بشىء منالتسنيم، ولأنهم وسطاء فيض فهم يشهدون اعمال الابرار، وهذا يتطابق مع ما تقدممن أن المطهرين فى هذا الشرع المقدس، المعصومين يمسون الكتاب فى اللوحالمحفوظ المكنون الذى يستطر فيه كل غائبة، ومنها أعمال العباد، فالمطهر هوالمقرّب، وهم

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۸

عباد الله الذين يسقون الابرار من عين يفجرونها تفجيرا، وهذهالعين هى عين الكافور، وهى عين فوق مقام الابرار، والسلسبيل الذى هو مصدرالمقربين والعين التى يسقون منها هو رسول اللهصلى الله عليه وآله اذ هو القيّم على المقربينالذين هم أهل البيتعليهم السلام وهو مصدرهم.

فتلّخص اذن أن الابرار يُسقون كأساً ممزوجة بالكافور، والمقربون هم مصدرالابرار، والسلسبيل مصدر المقربين التى يسقون ويُسقوْنَ منها، على أن السقاية منالعين وتفجيرها، تعنى أن المقرّبين هم واسطة افاضة على الابرار، الذين يفيضونبالنور والعلم والحكمة والهداية على الابرار، وهؤلاء المقرّبين وهم على وفاطمةوالحسن والحسينعليهم السلام يُفاض عليهم من عين السلسبيل بواسطة رسول

اللهصلى الله عليه وآلهفعلومهم وراثة من رسول اللّهصلى الله عليه وآله كما فى الروايات الواردة عنهم، مما يعنى أنالمقربين هم فى مقام الحجية والقيمومة المهيمنة على الخلق اذ قيمومتهم تصدرمن رسول الله صلى الله عليه وآله الذى ينص على حجيتهم وامامتهم بأمر الله تعالى.

وبذلك يتّضح مقام فاطمةعليها السلام وكونها إحدى وسائط الافاضة على الخلق النابعةمن مصدرٍ إلهى يمثله رسول اللّهصلى الله عليه وآله وظهر أنّها شاهدة للّه على الخلق، وأنّها هادية‌لهم، وأنّها من الراسخين فى العلم الذين يمسون الكتاب المكنون فى اللوحالمحفوظ، فهى من الذين أوتوا العلم وأثبت فى صدورهم وأنها ممّن يُعرض عليهاأعمال العباد.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۷۹

فاطمة عليها السلام من المطهرين الذين يمسون الكتاب ... ص: ۷۹

واذا ثبت أن المطهرين هم محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين‌عليهم السلام بحكمآية التطهير» انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً «فانّ من‌خصوصيات المطهرين أنهم هم الذين يمسون كتاب الله تعالى» انّه لقرآن كريم فى‌كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون «(«۱») أى لا- يعلمه إلا- المطهرون، ولا يعنى المس‌هنا مس نفس الوجود الخطى والكتبى للقرآن الكريم، اذ لا معنى لذلك والآية فى‌مقام الاشارة الى مكنونية هذا الكتاب بمثل هذا القسم المغلّظ الذى يتعلّق بالأمرالخبرى لا الإنشائى، فلفظ» لا «فى الآية نافية لا ناهية بل يقصد الاخبار، كما أنّه قدوصف الكتاب المكنون بأنّه الذى تنزل منه القرآن المصحف الذى بين الدفتين، فالقرآن فى الكتاب المكنون له حقيقة علوية لا- يتناولها إلا- المطهّرالمعصوم، فالحقيقة العلوية بعيدة عن افهام الناس إلا بواسطة المطهرين، فالمطهرون هم اهل‌بيانه وتفسيره ومعرفته، وهم العالمون ببطونه وعلومه» انّه فى أمّ الكتاب لدينا لعليّ‌حكيم «(«۲») ولا يعلم تأويل الكتاب إلا الراسخون فى العلم» وما يعلم تأويله إلا اللهوالراسخون فى العلم يقولون ءامنا به كل من عند

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۰

ربنا وما يذكرالا الا أولوالالباب «(«۱») قال ابو عبداللهعليه السلام:» نحن الراسخون فى العلم ونحن نعلمتأويله «واذا ثبت أن المطهرين هم المقربون كما تقدم ذكره من أن المقربين هم على‌وفاطمة والحسن والحسين‌عليهم السلام فانّ الكتاب المكنون لا- يمسه إلا المطهرون، أخرج‌السيوطى عن ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبى‌صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى» انّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون «قال: عند الله فى صحف مطهرة» لا يمسه إلاالمطهرون «قال: المقربون («۲»).

واذا كان المطهرون هم المقربون الذين يمسون الكتاب ويعلمون تأويل بواطنه‌فانّ لهم الحجية من الله تعالى على الخلق اذ الحجة هو الموصل لمعرفة الطريق الىالله ومن هنا نعلم أن احاطتهم‌عليهم السلام بكل شىء دليل حجيتهم اذ علمهم بالكتاب يعمّ‌علمهم بكل شىء، فالكتاب محفوظ فيه علم كل شىء لقوله تعالى:» ولا- حبّة فى‌ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين «(«۳») فالحجية تعنى ولا-يتهم على‌الخلق بقسميها ولا-يتهم التشريعية المنبعثة من مقام علمهم بالكتاب الذى يضم علم‌كل شىء، اذ الولاية التشريعية لا تتم إلا بمعرفة أحكام كل شىء فهى من لوازم‌العلم، وبحكم علمهم بكتاب الله فانّ لهم الولاية التكوينية

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۱

على الخلق، اذ هذاالقرآن بحقيقته العلمية المكنونة التكوينية الملكوتية الذى لا يعلمه إلا المطهرونموصوف بقابلياته الالهية المودعة فيه» ولو أن قرآناً سُيّرت به الجبال أو قطّعت به‌الارض أو كلّم به الموتى «(«... ۱») وقوله تعالى» وقال الذى عنده علم من الكتاب أناآتيك به قبل أن يرتدّ اليك طرفك «فالحجية هى المقام الالهى المنبعثة منها ولايتهم‌عليهم السلام بقسميها.

وبهذا سيتم لنا معرفة مقام فاطمةعليها السلام من حيث معرفتها بكتاب الله وبواطنه‌وعلومه، ومن حيث ولايتها التشريعية والتكوينية معاً.

وقد رويت فى عرض ولايتها على الخلق كباقى ولاية أصحاب الكساء والأئمة المعصومين عليهم السلام روايات عديدة فلاحظ («۲»).

فاطمة عليها السلام وحجّيتها لدين الاسلام ... ص: ۸۱

اشارة

وفيه جهتان:

الجهة الأولى ...: ص: ۸۱

تُعد آية المباهلة من أهم الآيات التى أثبتت حجية فاطمةعليها السلام، اذ هذه الآية كانتمقام الفصل بين حقانية الدين الاسلامى ونسخ غيره من الأديان.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۲

فالنصارى الذين احتج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكل حجة لم يذعنوا فى الظاهر، وتمادوا فى تشكيكهم وتكذيبهم لدعوة النبىصلى الله عليه وآله ولم يملكوا إلاـ الاذعان لمادعاهم النبىصلى الله عليه وآله للتباهل الى الله تعالى ليلعن الكاذب، ولم يجد النصارى بداً منالقبول بذلك، حتى اذا أراد النبىصلى الله عليه وآله مباهلتهم علموا صدق النبىصلى الله عليه وآله بالخروج بالمباهلة بنفسه وأهل بيته، مما دعى النصارى الى التسليم لصدق دعوته واذعانهمإليه، قال تعالى:» فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءناوأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علىالكاذبين «(«۱»).

أخرج السيوطى فى الدر المنثور عن جابر قال:» قدم على النبىصلى الله عليه وآله العاقبوالسيد فدعاهما الى الاسلام فقالا: أسلمنا يا محمد قال: كذبتما ان شئتما أخبرتكما بمايمنعكما من الاسلام، قالا: فهات قال: حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزيرقال جابر: فدعاهما الى الملاعنة، فدعواه الى الغد، فغدا رسول اللهصلى الله عليه وآله وأخذ بيد علىوفاطمة والحسن والحسين ثم ارسل اليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له فقال: والذى بعثنىبالحق لو فعلاـ لأمطر الوادى عليهما ناراً قال لجابر: فيهم نزلت» تعالوا ندع أبناءناوأبناءكم «... الآية قال جابر:» أنفسنا وأنفسكم «رسول اللهصلى الله عليه وآله وعلى، و» أبناءنا «الحسن والحسين،

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۳

و» نساءنا «فاطمة «(«۱»).

وروى ذلك السيوطى بعدة طرق.

وأخرج الحاكم النيسابورى فى شواهد التنزيل القصة فى تسع طرق («۲»).

وروى ذلك ابن كثير فى تفسيره عن جابر («۳»).

فمباهلة النبىصلى الله عليه وآله بعلى وفاطمة والحسن والحسين يعنى احتجاجه علىالنصارى بهؤلاء الذين هم الحجة على صدق دعوة النبى وبعثته. كما انّ المباهلةتعنى بحسب ماهيتها أن النبىصلى الله عليه وآله جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء فى دعوته، ممايعنى أن مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجيتهم ومقامهم، مشيرة الىوجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبىصلى الله عليه وآله كما يفيد ذلك حديثالمنزلة الذى رواهالفريقان، عن سعد بن أبى وقاص أن النبىصلى الله عليه وآله قال لعلى:» أنت منّى بمنزلة هارون منموسى ألا أنّه لا نبى بعدى «(«۴») فمنزلتهعليه السلام بمنزلة هارون، وصفٌ لحجيته ومشاركتهفى دعوته كما شارك هارون موسى فى دعوته، فهذه المقاسمة والمشاركة فىالمنزلة دليل حجيتهعليه السلام كما أن مشاركة على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فىالمباهلة مع النبىصلى الله عليه وآله دليل حجيتهم ومشاركتهم معه عليهم السلام فى تبليغ

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۴

صدق بعثته صلى الله عليه وآلهذا ما تبينه آية المباهلة من مقام فاطمة عليها السلام وحجيتها كذلك.

فهذه مقامات يمكن متابعتها فى اصطلاحات القرآن تفسّر مقام الزهراءعليها السلاموأنها بنص القرآن حجة من حجج الله تعالى فى مصاف الانبياء والرسل.

وما روى عن ابى جعفرعليه السلام فى حجية فاطمةعليه السلام قوله:» ولقد كانت فاطمةعليها السلاممفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والانس والطير والوحش، والانبياء والملائكة «(«۱»).

فتحصّل أن مؤدى آية المباهلة هو بنصب الله تعالى فاطمةعليها السلام حجة علىحقانية الاسلام ونبوّة نبيّه وشريعته، لاحتجاجه تعالى بها على النصارى وأهلالكتاب، فلم يحصر تعالى الحجية على الدين بالنبىصلى الله عليه وآله، بل جعل الخمسة كلهمحجة على دينه، ومقتضى هذا الاحتجاج منه تعالى أن متابعة على وفاطمة والحسنين عليهم السلام للنبىصلى الله عليه وآله وتصديقهم به هو بنفسه دليل على صدق النبىصلى الله عليه وآلهورسالته، نظير قوله تعالى» كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب «(«۲») حيث جعل شهادة من عنده علم الكتاب دليل على صدق النبىصلى الله عليه وآله من سنخ شهادةمعجزة القرآن التى هى شهادة الله لنبيّه والآية من سورة الرعد المكية نزولًا النازلةفى على، حيث لم

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۵

يسلم من أهل الكتاب فى مكة أحد، بل لا يخفى على اللبيبالفطن أن من عنده علم الكتاب شامل للمطهرين فى شريعة الاسلام وهم أصحابآية التطهير، لأنهم هم الذين يمسون الكتاب المكنون كما أشارت اليه سورة الواقعةوتقدم مفصلًا فمنه يعلم أن قوله تعالى» وكفى بالله شهيداً «مفادها هو مفاد آيةالمباهلة فى كونها حجة على بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى هو الذى يشير اليه مارواه الواقدى أن علياًعليه السلام كان من معجزات النبىصلى الله عليه وآله كالعصا لموسى واحياء الموتىلعيسى («۱»).

ففى مقام الاحتجاج على أهل الاديان لم يأمر الله تعالى نبيّه بدعوة زوجاتهأمهات المؤمنين ولا أحد من الصحابة ولا سائر بنى هاشم، ولا يخفى أن تعيين الخمسة عليهم السلام للمباهلة لم يكن موكولًا للنبىصلى الله عليه وآله، بل بأمر من الله وتعيين وتنصيصمن الله فى قرآنه النازل، وان كان النبىصلى الله عليه وآله مأموراً بدعوتهم للمباهلة.

وبمعنى آخر إن المباهلة فى اللغة تعنى الملاعنة ودعاء كل طرف على الاخر، وهى انّما يتوسّل بها عند نفاد الحجة لكلا الطرفين، أى لا لعدم وجود الحجة- ويشير إلى ذلك صدر الآية) فمن حاجّك (أى فى مقام الاحتجاج وإقامة الحجّة من كل طرف على مدّعاه فى قبال الآخر-، بل لعدم استجابة أحد الطرفين لحجية

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۶

الاخرفتكون المباهلة نوع من حكم الله بين الطرفين وكأنه استعجال لحكم الله وقضائهالاخروى الى هذه النشأة الدنيوية، ولا ريب انّ أهمية وخطورة المباهلة تتبع موردالمباهلة، فكلما ازداد خطورة اختلفت اهمية حكم الله وفصل قضائه وبالتالياختلفت نوعية حكمه تعالى، كما انّ مقتضى ماهية المباهلة كون طرفى المباهلة هماالمتداعيان أى كل منهما صاحب دعوة فى قبال الاخر، فكلٌ منهما هو صاحبدعوى المتحمل لتلك الدعوى، كما هو الحال فى بقية النزاعات والخصومات أنيكون كل منهما على تقدير صدق دعواه وثبوتها هو صاحب الحق ومن له صلةبالحق، كما لا معنى للنيابة فى الخصومة فى مقام الحلف وما هو من قبيله كالمباهلة، واذ تبينت ماهية المباهلة حكماً وموضوعاً ومتعلقاً، يتبيّن أن الخمسة أصحابالكساء صلوات الله عليهم، هم أصحاب الدعوة للدين بالأصالة، وأن كلًا منهم ذوصلة وشأن فى حقانية الدين وصدق البعثة النبويّة، ومعنى صدقهم فى دعواهم أنكلًا منهم يخبر عن علمه بصدق الرسالة ونزول الوحى على النبىصلى الله عليه وآله وانبعاثه بدينالاسلام، ومن ثَمَ لابد أن تكون علومهم لدنّيه تؤهلهم للتصدى لهذه الدعوة، اذبالعلم اللدنى وحده يمكن الاطلاع على نزول الوحى، وبالتالى فانّ مسؤولية حفظالدين وحمايته تقع على الخمسة بنحو المشاركة، مما يدلل على وحدة سنخ المقاموالمنصب الشرعى- عدا النبوّة- فضلًا عن ولايتهم الشرعية على الدين.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۷

الجهة الثانية ...: ص: ۸۷

ما ورد فى الحديث القدسى:» لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا علىّ لما خلقتك ولولافاطمة لما خلقتكما جميعاً «

ولتفسير الحديث ثلاثة أوجه:

الأول: الوجه الكلامى ...: ص: ۸۷

وليس هنا معنى الحديث- كما قد يتوهّم فى بادىء النظر- هو أفضلية على أوفاطمةعليهما السلام، بل الرسولصلى الله عليه وآله أفضل الكائنات وسيد البرايا» فدنى فتدلّى فكان قاب‌قوسين أو أدنى «دنواً واقتراباً من العلىّ الأعلى، وقال علىّعليه السلام» أنا عبد من عبيدمحمدصلى الله عليه وآله «أى المأمورين بطاعتهصلى الله عليه وآله. بل مفاده نظير ما رواه الفريقين عن النبىصلى الله عليه وآله» علىّ منّى وأنا من علىّ «و» حسين منّى وأنا من حسين «وهو يحتمل أوجه منالمعانى منها: انّ الغرض والغاية من خلق بدن الرسولصلى الله عليه وآله فى النشأة الدنيوية وابتعاثه لا يكتمل إلا بالدور الذى يقوم به علىّ وفاطمةعليهما السلام من أعباء اقامة الدينوايضاح طريق الهداية، نظير قوله تعالى النازل فى أيام غدير خم يوم تنصيبالنبىصلى الله عليه وآله علياًعليه السلام إماماً» يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك وإن لم تفعل فمابلّغت

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۸

رسالته واللّه يعصمك من الناس إن اللّه لا يهدى القوم الكافرين «فقد جعل تبليغالرسالة مرهوناً بنصب علياً إماماً ليقوم بالدور الذى يلى النبىصلى الله عليه وآله وكذا قوله تعالى» اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكموأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دين ا «وهو أيضاً نزل فى أيام غدير خمفرضى الرب بالدين مشروط بما أقيم فى ذلك اليوم حيث يئس الكفار من إزالةالدين الاسلامى والقضاء عليه، لأن القيم على الدين وحفظه لن ينقطع بموتالنبىصلى الله عليه وآله بل باقٍ ما بقيت الدنيا. ونظير قوله تعالى» قل لا أسألكم عليه أجراً إلاالمودة فى القربى «فجعل الرسالة فى كفّة ومودة الرسولصلى الله عليه وآله فى كفّة معادلة وقال‌تعالى» ما سئلتكم من أجر فهو لكم «و» ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتّخذإلى ربّه سبيلًا «فكانوا هم السبيل اليه تعالى والمسلك إلى رضوانه وانّ الدور الذىقامت به فاطمةعليها السلام من ايضاح محجة الحق وطريق الهداية فى وقت عمّت الفتنةالمسلمين ولم يكن من قالع لظلمتها ودافع للشبه إلا موقف الصديقة الطاهرةعليه السلامفقد كان ولايزال حاسماً وبصيرة لكلّ المسلمين ولكل الأجيال. اذ هى التى نزلتفى حقّها آية التطهير والدهر وهى أمّ أبيها، اذ الأمومة للرسولصلى الله عليه وآله وهو مقام لايقاس به الأمومة للمسلمين، وهى روح النبىصلى الله عليه وآله الذى بين جنبيه، فكل هذه الآياتوالأحاديث النبويّة لم تزل حيّة وغضّة فى آذان المسلمين.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۸۹

وهذا المعنى للحديث حينئذ يقرب من مفاد قوله تعالى» ما خلقت الجنوالانس إلا ليعبدون «أى ليعرفون ثم يعبدون وذلك بوساطة هداية الرسول والدينالحنيف باقامة الائمةعليهم السلام له بعدهصلى الله عليه وآله.

الثانى: الوجه الفلسفى ... ص: ۸۹

قد حرر فى علم المعقول تعدد الغاية، فمنها غاية نهائية ومنها غايات متوسطة، كما قد حرر أنّ العلل الغائية تكون بحسب مقام متعاكسة بحسب مقام آخر، ولنمثل‌بذلك مثال يوضح هذا الأمر، فقد يقول القائل: انّى أذهب إلى المدرسة لكى أتعلّم، وانّى اتعلم لكى أحصل على الشهادة العليا، كما يصح من هذا القائل قوله لولا ذهابى‌للمدرسة لما تعلّمت ولولا تعلّمى لما حصلت على الشهادة العليا،

كما يصح منهالقول: لولا الرغبة للحصول على الشهادة العليا لما تعلّمت ولما ذهبت إلىالمدرسة، فالحاصل من قول هذا القائل ليس مفاده أفضلية الذهاب إلى المدرسةمن التعلم، ولا أفضلية التعلم من الدرجة العلمية الفائقة فى حصول الشهادة، بل هذإ؛ االگ گالتعليل هو بيان لدور وتأثير الغايات المتوسطة من دون أن يعنى ذلك كونها غايات‌نهائية.

فما يوهمه ظاهر هذا الحديث من كون فاطمةعليها السلام علّة غائية نهائية وراءالنبى‌صلى الله عليه وآله ليس بمراد، بل حاصل ما يعنيه أنّهاعليها السلام من الوسائط التى بمثابة غايات‌شريفة تتلو الغاية النهائية فى المقام.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹۰

الثالث: الوجه العرفانى ... ص: ۹۰

ومحصّله هو التنويه بالذات النورية للخمسة اصحاب الكساء، وأن بذواتهمالنورية اشتّق اللّه خلق بقية المخلوقات وهو نظير ما ورد بروايات الفريقين،» أولما خلق اللّه نور نبيّك يا جابر «وفى رواية اخرى العقل، وفى‌لسان القرآن الماء لقوله‌تعالى:» وخلقنا من الماء كلّ شىء حى «فهو نظير الروايات الواردة فى اشتقاق‌النور، وقد أسند اللفظ فى صدر هذه الرواية، وجُعل الشرط فى الشرطية الأولى‌ذات النبى‌صلى الله عليه وآله الشريفة لا- خلقته، والمراد بها ذاته النورية التى هى من عالم الأمر أى‌المخلوقة بالمعنى الأعم لا المعنى الأخص كما يشير إلى ذلك قوله تعالى» له الأمروله الخلق «وقوله تعالى» انّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى‌بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون «فالمخلوقات على قسمين من عالم الأنواروعالم التراب والمادة الغليظة وهى النشأة الدنياوية.

ففى الشرطية الأولى جعلت ذاته النورية واسطة لفيض خلق الأفلاك، وفى‌الشرطية الثانية جعلت ذات على النورية واسطة فيض لخلق البدن الجسدى‌للنبى‌صلى الله عليه وآله وفى الشرطية الثالثة جعلت ذات فاطمة النورية واسطة فيض لخلق بدن‌النبى‌صلى الله عليه وآله وبدن الوصى. فمع الدقّة والتأمّل فى ظرافة التعبير حيث لم يُسند فى الشرطية الثانية ولا الأولى ولا الثالثة، ولم يُجعل الشرط فى كل منها خلق الثلاثةالأطهار

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹۱

بل جعل ذواتهم النورية، وجعل الجزاء فى الشرطيات الثلاث الخلق، فليس التعبير» لولا خلقك لما خلقت الاهفلاك ولولا على لما كنت ولولا خلق فاطمة لماخلقتكما «والمغزى فى اسلوب هذا الحديث المثير للوهم، هو التنبيه على مقامات فاطمة عليها السلام وأنّها تلو النبى‌صلى الله عليه وآله والوصى عليهما صلوات اللّه، دون سائر الأنبياء والمرسلين كما تقدم إيضاحه فيما سبق.

فالمحصّل انّ أول المخلوقات نور النبى‌صلى الله عليه وآله ثم نور على‌عليه السلام ثم نور فاطمةعليها السلام‌ثم بقية الأنوار ثم بقية عوالم ونشأت الخلقة التى تتضمن الأبدان الشريفة للمعصومين، فنور على وفاطمة يتوسط بين نور النبى‌صلى الله عليه وآله والاجساد الشريفة فى‌تسلسل عوالم الخلقة، وهذا هو المراد من قولنا انّ نور على وفاطمةعليهما السلام واسطةفيض لخلق بدن النبى‌صلى الله عليه وآله كما انّ نور فاطمةعليها السلام واسطة لخلق بدنهما.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹۵

المقام الرابع أمومتهاالنبى (ع) فى مقابل أمومة زوجاته للمؤمنين

واذ أكرم الله زوجاتهصلى الله عليه وآله بأن جعلهن أمّهات للمؤمنين لقوله تعالى» النبى أولى‌بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمّهاتهم «(۱») اشارة الى بعض آثار الامومة من الاحترام و التكريم لهن كاحترام الأم الحقيقة وتكريمها، فانّ فاطمة عليها السلام قد فاقت منزلتهابحجيتها الالهية لتكون أمّاً للنبى‌صلى الله عليه وآله وعلى لسانه بقوله» فاطمة أمّ أبيها «(۲») مما يشيرالى عِظم منزلتها وخطير

درجتها، فأمومتها لهصلى الله عليه وآله تعنى أن هناك علاقة ارتباط وثيقعلى مستوى الحجية، أى انّ امومتها للنبىصلى الله عليه وآله فضلًا عن رعايتها لهصلى الله عليه وآله والقيامبشؤونه، فانّ لأمومتها جنبة اشراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كاشراف مريمعليها السلاملنبى الله عيسى ورعايتها له فضلًا عن رعايتها لدعوته والقيام ببعض شؤون رسالته.

فكما انّ الرسالة العيسوية قد اعتمدت نشوءاً وبقاءً على مقام السيدة مريم منبدء الحمل حتى ما بعد الولادة،، فإن فاطمةعليها السلام

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹۶

تحتل مقام الحجية المشار اليهاسابقاً مما يعطى لوقفتهاعليها السلام بُعداً آخر فى تأييد النبىصلى الله عليه وآله وتصديقه بدعوته، اذاقترانها معه بآية التطهير ومشاركتها له بآية المباهلة وبيان مقامها فى سورة الدهر منكونها من المقربين الذين يفيضون على الابرار ويتزودون من عين السلسبيل وهىعين رسول اللهصلى الله عليه وآله كل ذلك يؤكد أن أمومتها استناداً الى حجيتها ستكون رعايةاشراف وحجية للدين، وبهذا فكم فرق بين الأمومة للنبىصلى الله عليه وآله والأمومة للمؤمنين.

ويحتمل معنى أمومتها للنبىصلى الله عليه وآله ما تقدم فى المقام السابق من كون وجودهاالنورى أصل لوجوده البدنى، لأن الأم فى اللغة تستعمل بمعنى الأصل، نظير ما وردأن المؤمن أبوه النور وأمّه الرحمة.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۹۹

المقام الخامس رضا فاطمة رضا الله وغضبها غضبه تعالى

روى الفريقان أن رضا فاطمة رضا الله تعالى وغضبها غضبه، فقد روى فىعوالم العلوم عن المناقب: أن النبىصلى الله عليه وآله قال:» يا فاطمة انّ الله ليغضب لغضبك ويرضىلرضاك «(«۱»).

وعن كشف الغمة عن الحسين بن على عن أبيه عن النبىصلى الله عليه وآله أنه قال:» يا فاطمةانّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك «(«۲»).

وروى أهل السنّة بأسانيد مختلفة وطرق متكثرة مثل ما اخرجه محب الدينالطبرى فى ذخائر العقبى عن على بن أبى طالبعليه السلام انّ رسول اللّهصلى الله عليه وآله قال:» يافاطمة انّ الله عزوجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك «(«۳»).

يُعد هذا الحديث من جملة الأدلّة على اثبات عصمتهاعليها السلام، فاضافة الى آيةالتطهير التى تدلّ على عصمتها وحجيتها على الخلق، اذ أن غضب فاطمة ورضاهادالّة على الرضا والغضب الالهيين مما يعنى أن غضب فاطمة ورضاها فرع غضباللهتعالى ورضاه ومتى ما كان الامر كذلك فاننا نستكشف بالدليل الانى عصمتهاعليها السلام، اذ لا

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۰

يكون الرضا والغضب الصادرين من قبل شخص، رضا وغضب الهى الإ؛ اًا ۹۰ حينما يكون هذا الشخص بعينه معصوماً عن كل عيب ممتنعاً عن كل قبيح ليكونرضاه وغضبه فى حدود الرضا والغضب الالهيين.

وفاطمةعليها السلام حضيت بتلك المنزلة تدليلًا على عصمتها وطهارتها فضلًا عنحجيتها ومقامها الالهيين.

كما انّ فى الحديث دلالة كافية للزوم ولايتها وطاعتها على الخلق حتى يحصلبذلك رضاها ويتحقق عدم غضبها عليها السلام، فاذا تحقق ذلك أمكن احراز الرضا الالهىوتجنّب غضبه تعالى، مما يؤكد أن هذه المواصفات لا تتوفر إلا لمن تمتع بمقامالحجية والتطهير الإلهيين الملازم لوجوب الطاعة على الخلق.

على أنه صلى الله عليه وآله عبّر عن حجيتها بماهية الحجية فى العقل العملى لا بماهية الحجيةفى العقل النظرى التى تبحث فى علم المنطق كالاشكال الاربعة أو فى علم اصولالفقه، والسر فى ذلك أن الحجية فى العقل العملى تستلزم الحجية النظرية دونالعكس ومما يدلل على مقام حجيتها وعصمتها العلمية والعملية.

وبيان ذلك: انّ خاصية الحجية النظرية تختلف عن خاصية وماهية الحجية فىالحكمة العملية، ففى بحث المنطق تذكر البراهين والاقيسة التى تشير الى العقلالعملى كما انّ فى اصول الفقه تذكر الحجية بماهية كاشفية أى حاكية وموصلة. أماالحجية العملية فانّها

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۱

تتميز بكون هويتها وخاصيتها أنها لازم عملى وليس المقصودمنه العمل الجارحى وحده، بل العمل الجوانحى كذلك، أى الحجية العملية ترتبطبالصفات العملية فى النفس، بل هى ترتقى فوق الصفات العملية ولا تقتصر علىالجوانح بل ترقى الى القلب لتشمل الحب والبغض، والرضاء والغضب، والتولىوالتبرىء، فخاصية الحجية العملية اذن ترتبط بالجانب العملى على مستوى القلبالذى يكون أعلى من الادراك الساذج البسيط، ومن ثم فانّ التعبير للحجية العملية لايعبر عنها بتعبيرات الحجية النظرية، كما فى التعبير عنها بالنور واليقين والبيانوغيرها. فى حين يختلف الامر عما هو عليه فى الحجية العملية كما فى قوله صلى الله عليه وآله» على مع الحق والحق مع على «وقولهصلى الله عليه وآله» انّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها «أو ما عبّر عنه القرآن الكريم» كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انّه من عبادناالمخلَصين «(«۱») وقوله تعالى» ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك المخلَصين «(«۲») وقولهتعالى» انّه كان مخلَصا وكان رسولًا نبياً «(«۳») فالتعبير بالمخلَص تعبير عن الحجية لكنبما هى حجية عملية لا الحجية النظرية، كما فى عناوين التطهير والاصطفاء وصفاًللانبياء كما فى قوله تعالى» انّهم عندنا من المصطفين

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۲

الاخيار «(«۱») وقوله تعالى» انّمايريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا «(«۲») وكما فى عنوان» المقرّب «كقوله تعالى» والسابقون السابقون اؤلئك المقربون «(«۳») فهو تعبير عنالحجية العملية وهو وان كان عملًا إلا انّه على صعيد القلب، كما انّ النور فوقالادراك مع أنه على صعيد العمل.

اذن فالحجة العملية، هى حجية نظرية مشوبة بعمل. كما أنها أبلغ فى البيان عنالحجية النظرية لأن الحجية النظرية والعصمة النظرية) كلاهما بمعنى واحد (تؤمنانلنا العصمة والأمن من الزلل فى التلقى النظرى، فى حين انها لا تشمل الأمن منالخطأ فى السلوك العملى. بينما الحجية العملية فهى التلقى النظرى وعصمته مفروغ عنهما فضلًا عنالأمان والعصمة فى التطبيق العملى، ومن ثَمَ فتكون ابلغ فى الأمان فى علو درجةالعصمة ومنزلتها من الحجية النظرية وحدها.

اذن فالرضا والغضب الذى أشار اليهما النبىصلى الله عليه وآله فى حديثه لابد أن يكوناتابعين لارادة الله تعالى، ومع هذا فانّ رضا فاطمةعليها السلام سيكون متبوعاً من قبل غضبورضا الله تعالى، لا أن هذه المتبوعية

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۳

على مستوى الكشف أى كاشفة عن رضاوغضب الله تعالى، على أن رضا الله تعالى وغضبه هو المتبوع أصلًا ومن هنايمكن أن نستدل فى ذلك على اطلاعها العلمى بارادات الله تعالى ورضاه فضلًاعن موارد غضبه، مما يؤكد وجود العلم اللدنى لدى فاطمةعليها السلام للملازمة بين هذاالعلم وبين الاطلاع على كل الجزئيات التى لا يتم الاطلاع عليها بدقائقها وأسرارها وغوامضها الا بالعلم اللدنى الذى يخص الله به أوليائه وحججه المقربين والتىأظهر مصاديقها وأتمها فاطمة الزهراءعليها السلام.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۷

المقام السادس مباهاة الله بها لنبيه (ع)

احتلت سورة الكوثر مساحة واسعة من المرتكز الاسلامى الذى يؤكد أنالمقصود من الكوثر هو فاطمةعليها السلام، فانّ مقتضى سياق الآية فى مقابل الشانىء الذىهو ابتر لا ذرية له، بخلاف النبىصلى الله عليه وآله فانّ له الكوثر أى الذرية الكثيرة وهى فاطمةعليها السلاموما يحصل من ذريتها، ومقتضى المقابلة هو فى كثرة الذرية، وإلا لإختلّت المقابلة، والاثبات والنفى لم يردا على شىء واحد،

وهـذا لاـ ينـافى تأويـل الكوثر بأنه نهر فىالقيامـة يسـقى به النبىصـلى الله عليه وآله أمّته فالكلام فى مورد نزول الآيـة، وقـد ذهب الى ذلكالفريقين.

قال العلّامة الطبرسـى فى تفسـير جوامع الجامع لقوله تعالى:» انّا اعطيناكالكوثر «قال: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهر ذلك فى نسله من ولـد فاطمة عليها السـلام اذلا ينحصـر عددهم، ويتصل بحمد الله الى اخر الدهر عددهم، وهذا يطابق ما وردفى سـبب نزول السورة وهو أن العاص بن وائل السـهمى سـمّاه الابتر لمّا توفى ابنهعبدالله وقالت قريش: ان محمداً صلبور فيكون تنفيساً عن النبىصلى الله عليه وآله ما وجد فىنفسه الكبيرة من جهة فعالهم وهدماً لمحالهم («۱»).

وقد ذهب الى ذلك الفخر الرازى بقوله: الكوثر اولادهصلى الله عليه وآله لأن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۰۸

هـذه السورةنزلت رداً على من عابه بعـدم الاولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسـلًا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم ولم يبق من بنى أمية فى الدنياأحد يُعبأ به («۱»).

وبالفعل فانّ الاحصائيات تشـير الى أن سدس سـكان المغرب العربى مثلًا هممن بنى فاطمةعليها السـلام من السادة الحسـنيين أى بنسبة خمسة ملايين من مجموع ثلاثينمليوناً.

وهـذا أظهر مصاديق الكوثر المشار اليه فى الآيـة الكريمـة، اذ ذلك العطاء كانبمقتضـى شكرهصـلى الله عليه وآله لربّه واقامة الصـلاة والدعاء والثناء عليه تعالى، ولا يخفى ارتباطحقيقة النهر المسمّى بالكوثر بها سلام الله عليها، لأن بين التأويل والظاهر دوامارتباط.

ولا يخفى أن المباهاة بها عليها السلام من قبل الله تعالى لنبيّه على عدوه، يعطى دلالاتلحجيتها، اذ الآية فى مقام بيان كرامة النبىصلى الله عليه وآله عند الله تعالى وكرامته هذه مقرونةبحيازته صلى الله عليه وآله لأفضل مخلوق وصفه الله تعالى بالكوثر- أى الخير الكثير- ولا تتمذلك إلا بكون مورد المباهاة من الخير المطلق الكامل التام.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۱

المقام السابع اشتمال خطبتها على معارف تدلل على سمو مقامها وعظيم حجيتها (ع)

لا تزال خطبة السيدة فاطمةعليها السلام ترن فى أسماع الدهر، وتتجدد على مرّ العصورمؤكدة فى الوقت نفسه جوانب شخصيتها الالهية ومقامات معرفتها الربوبية مشيرةالى عظيم ما اطّلعت عليه من مكنون علمه ومخزون معارفه، والتى لا يُطلعها إلاعلى خاصة أوليائه وأهل صفوته وسدَنَةِ أسراره، الذين أذهب الله عنهم الرجسوطهرهم تطهيرا، ولما كانت فاطمةعليها السلام أحد مصاديق أهل التطهير وأولى الذكر، فلاغرابة أن تفتق فى خطبتها من بعض خزائن معارفه تعالى.

فهى مع ذكرها البالغ لتمام الحمـد على نعمائه، وسوابغ الشـكر على آلائه، والثناءلربوبيته، والتوحيد لصـفاته، فهى تسوق البيان للتوحيد بما ليس معهودفىالفلسـفات البشـرية أنـذاك من اليونانية أو الفارسـية أو الهندية، ومن ظرائف التوحيدمالم يُعهد فى العرفان المتداول انذاك، فانّ بيان معرفة التوحيد ينفى الصفاتالمشيرة للغيب المطلق، وأن الصـفات الالهية تجليات أسـمائية دون مقام غيبالغيوب، اذ لم يُعهـد قبل الاسـلام، ولم يُبده قبل القرآن الكريم ولم يكن فى متناولأفهام المسـلمين فى الصدر الاول، ثم شـرعت فى بيان سلسـلة الصوادر عنه تعالىوكيفية الصدور واختلاف

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۲

النشـآت بمـا هو غير معهود فى المعارف البشـرية انذاكالفلسـفية والعرفانيـة مما قـد تعرّضت اليه إشارات القرآن الخفيـة التى لم تنلها أفهامالمسلمين حينذاك.

ثم بيّنت ضرورة الشرع والشريعة، ثم بيّنت مقامات النبىصلى الله عليه وآله فى النشآتالسابقة والتعينات الخلفية للاشياء بحسب العوالم

المتعاقبة وهذه من المعارف التىلم يُبح بها قبل ذلك.

ثم بيّنت فصول علوم القرآن وجوامع أبوابه فأخذت فى بيان علل وحكمالاركان وأحكام الدين، مما لم تنله الاذهان قبل ذلك، ثم بيّنت بمجمل سيرةالنبىصلى الله عليه وآله وسننه وعِظم ما عاناه فى الدعوة الى الرسالة، وما كابده أخاه ووزيره وابنعمّه ووصيه أمير المؤمنينعليه السلام، وانهما صلوات الله عليهما مشيّدا صرحَ الدينوالدولة والنظام فى الاسلام، ثم أخذت فى تحليل الفتنة التى مُنى بها المسلمون بعدوفاة الرسولصلى الله عليه وآله سياسياً واجتماعياً وما سيؤول اليه حالهم لاغتصابهم الخلافة، كلذلك بيان جزل والفاظ منمقة وتناسق أنيق تستجيب العبارات لها وتنصاع المعانى لمراداتها والحقائق التى أبرزتها، وكل ذلك من المعارف مما لم يكن متداولًا بينالمسلمين، لعدم وروده فيما صدر من أحاديث النبىصلى الله عليه وآله للعامّة.

فمجمل ذلك برهان على أن ذلك صادر من علمٍ لدنى، وينضح من تلك العين.

وبعبارة أخرى تسوق البيان لمقام النبوّة ومعدن الرسالة وفضلها

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۳

الذى لايحصى اذ أخرجهم الله به من ظلمات الجهل الى نور الهداية، وطهرهم من دنسالشرك بعد أن كانوا اذلاء ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب، وتهوى بهمعواصف الشرك من مكان سحيق، وبعد أن عرّفتهم بعض مقام ابيهاصلى الله عليه وآله عند اللهتعالى وأظهرت فضله وبيّنت برهانه، وأوضحت حجته، وأعلمتهم معالم دينهم، وأركان فرائضهم وبيان حكمة كل ركن أصولها وفروعها فحلّقت بهم الى كل معرفةربوبية، وأخذت بهم عند كل سبيل، فعرّفتهم تكليف كل قضية فى دينهم ودنياهم، فكأنما كانت تُفرِغُ عن لسان ابيها حكمة ومعرفة، فصاحة وبياناً، حتى كانت أولخطبة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله تُلقى عليهم الحجة، وتنذرهم بعاقبة أمرهم اذا ما هماقاموا على غيّهم وغوايتهم وباطلهم يرون تراث رسول اللهصلى الله عليه وآله قد تناهبته الاهواءوهم قابعون، لا يدفعون يد لامس، ولا يتناهون عن باطل، ولا يأمرون بمعروف ولاينهون عن منكر، وليس هذا إلا عن علم الهى لدنّى لا يناله إلا حجة، ولا يحوزه إلاكل مقرّب مطهر.

اذن فاستطاعت فاطمة عليها السلام فى خطبتها تؤكد على أمور:

أولًا: ان خطبتها كانت أول خطبة بعد خطب رسول اللهصلى الله عليه وآله تسجلها محافلالمسلمين فى ذاكرتها لتولى لها اهتماماً بالغاً يؤكد اهتمام المسلمين بمقامها مما يؤكد حجيتها البالغة فى مرتكزاتهم.

ثانياً: تُعد خطبة فاطمةعليها السلام احدى الملاحم التوحيدية التى تذكر فيها ثناء اللهتعالى ووحدانيته وتشير الى نبوّة محمدصلى الله عليه وآله وأثرها فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۴

حياة المسلمين، وتستعرضأركان الدين وما يقابلها من حكمة التشريع، وتثير تساؤلاتها بعد ذلك عنمشروعية البيعة المأخوذة تحت عنوان السقيفة ومدى صلاحية هذه البيعة المدّعاةمما تؤدى بكثير من مدعيات القوم وتعاجل مشاريعهم.

ثالثاً: حاولت السيدة فاطمةعليها السلام فى خطبتها تعرية كل مشروع يُصاغ على النهجالسياسى السقيفى مستقبلًا، وحصّنت من خلال ذلك الصيغة الاسلامية المحمديةفى نظام الحكم لئلا تختلط الاوراق وتتشابك الدعاوى وكانت تنطلق فى دعوتهالهم من موقعيتها فى نفوسهم ومقامها لديهم الذى قد بناه القرآن النازل فى حقهاوتأكيدات النبى بمقامها وفضلها، والحجية فى جميع ما تلقيه من حكم ومواعظونصائح وأحكام ومن ثم تحليل لكل القضايا التى واجهت المسلمين وستواجههم مستقبلًا، مما يحفظ لخطبتها البليغة مكانة الحجية فى مرتكزات المسلمين فضلًاعن حجيتها الثابتة بالدليل القرآنى والسنّة النبوية.

رابعاً: الملاحما لمستقبلية التى أنبئت المسلمين بها من تفشى الفتنة فيهم والظلموالفرقة، حيث قالت:» أما لعمرى لقد لفخت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملأ القعبدماً عبيطاً، وزعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف الباطلون غب ما أسسالأولون، ثم طيبوا عن

دنياكم أنفساً، واطمأنّوا للفتنة جأشاً.

وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۵

من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً «(«۱»).

وقد وقع ما أخبرت به إلى حيث نرى ما يجرى اليوم من ذلّ المسلمين على كثرتهم الكاثرة أمام فئة اليهود القليلة، وهم لا يدفعون يد لامس، فعاد جمعهم حصيد، وفيئهم زهيد، وكل ذلك، فبئس ما أسسه الأولون من نظام حكم جرّ المسلمون إلى ما هم عليه اليوم.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۱۹

المقام الثامن حجيتها فى مقام الدفاع عن على (ع)

شهدت الساعات الاولى من رحيل النبى صلى الله عليه وآله صراعاً عنيفاً بين اجنحة التيارات الطامحة فى الحكم، ولم يمر وقت قليل حتى تمت تصفية حسابات توزعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على اقصاء الشرعية الالهية المتمثلة فى الامام على عليه السلام.

لم تكن هذه المراحل القاسية التى مرّت على الامام على عليه السلام باليسيرة، بل صاحبتها محاولات ارغام على البيعة عانى منها وأصحابه الابرار شتّى الضغوط النفسية التى حاولت من خلالها مجموعة السقيفة الى أخذ إقرار ولو شكلى على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الامر بعد ذلك ممرراً تحت غطاء الشرعية، هكذا حاولت السقيفة اقناع عامة المسلمين، إلا أن ذلك لم يتم مع وجود فاطمة الزهراء عليها السلام وهى تتصدى لمحاولات الارغام على البيعة التى تُطال علياً عليه السلام وأصحابه وذلك لما تتمتع به فاطمة عليها السلام من مقام الحجية المرتكز فى نفوس المسلمين، اذ لازالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكده فى فاطمة عليها السلام من مقام شامخ وذكر عظيم.

عن كتاب لأبى اسحاق الثعلبى عن مجاهد قال:» خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۰

يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منّى، وهى قلبى الذى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله «(«۱»).

وعن جابر بن عبدالله قال:» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ فاطمة شعرة منّى، فمن آذى شعرة منّى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والارض «(«۲»).

وقد فهم المسلمون انّ اقتران اذى فاطمة عليها السلام بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وبالتالى هو أذى الله تعالى الذى يوجب اللعنة والعذاب الأليم، اذ لا يتم ذلك إلا لمن كان له مقام الحجية الالهية، وإلا لا يمكن أن يتم قوله صلى الله عليه وآله أن اذى فاطمة عليها السلام يعنى أذاه الذى هو أذى الله تعالى، فانّ ذلك دليل الحجية التى تتمتع بها مقام فاطمة من بين المسلمين، لذا فلا يكون دخولها عليها السلام وسط الاحداث الملتهبة إلا اخماد لتلك النائرة التى أججتها طموحات القوم وأمانيهم مما أدى الى إرباك خططهم وتداعى كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية، فقد روى ابن أبى الحديد عن أستاذه النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى حين تساءل عن كلام أبى بكر بعد خطبة فاطمة عليها السلام وتعريضه لعلى فقال: انّه الملك يا بنى قلت: فما مقالة الانصار؟ قال: هتفوا بذكر على، فخاف من اضطراب الامر عليهم («۳»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۱

والرواية التالية ستشهد مدى تأثير الموقف الفاطمى فى ارباك محاولات القوم لما ارتكز عند القوم من حجية فاطمة عليها السلام فضلًا

عما هو مرتكز لدى المسلمين وقتذاك من النصوص القرآنية على حجّيتها وباقى الأحاديث النبوية حول مقام الزهراء من قبيل أنها سيدةنساء أهل الجنّة والذى قد روى فى الصحاح وغير ذلك فكيف بمن تكون سيدةنساء أهل الجنّة لا تبايع إمام زمانها وتموت ميّتة جاهلية مع أنّه سمعوا النبىصلى الله عليه وآله أنّهقال» من مات ولم يعرف أو لم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية «مما يدلل موقففاطمةعليها السلام لهم أنّ أبى بكر لم يكن صاحب البيعة الشريعة ولا الامام الذى يبايع فقدكانت بيعة الزهراءعليها السلام لعلىّعليه السلام. ويدل على مثل ذلك ما رواه ابن قتيبة فى الامامةوالسياسة انّ عمر قال لأبى بكر انطلق بنا الى فاطمة، فانا قد أغضبناها فانطلقاجميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها، فلماقعدا عندها، حولت وجهها الى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما السلام، فتكلمأبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله أحب الىّ من قرابتى، وانك لأحب الىّ من عائشة ابنتى، ولوددت يوم مات أبوك أنى مت ولا- أبقى بعده، أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول اللهإلا- إنى سمعت أباك رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول» لا نورث ما تركنا فهو صدقة «فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول اللهصلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم،

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۲

فقالت:» نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاى، وسخطفاطمة من سخطى، فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبنى، ومن أرضى فاطمة فقدأرضانى، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى «قالا: نعم سمعناه من رسول اللهصلى الله عليه وآلهقالت:» فانّى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتمانى وما أرضيتمانى، ولئن لقيت النبىلأشكونكما اليه «فقال ابو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؟ ثمانتحب ابو بكر يبكى حتى كادت نفسه أن تزهق، وهى تقول:» والله لأدعون اللهعليك فى كل صلاة أصليها «ثم خرج باكياً فاجتمع اليه الناس، فقال لهم: يبيت كلرجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتمونى وما أنا فيه، لا حاجة لى فىبيعتكم، أقيلونى بيعتى. («۱»)

هذا ما أحدثه موقف فاطمةعليها السلام اذ لو لم يكن لموقف فاطمةعليها السلام الحجية كما هومرتكز عند المسلمين لما طلب الشيخان الاعتذار منها، وقد ذكّرتهما بحجيتها فأقرّلها ذلك عند قولها:» ألم تسمعا رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاى وسخطفاطمة من سخطى «... فشهدا لها بذلك وأقرّا منزلتها وصدّقا حجيتها، لذا فانّ عدمرضاها عنهما دفع ابو بكر الى البكاء مما ضاق منه لعدم رضا فاطمةعليها السلام، ولو لميكن لها ذلك المقام الشامخ عند المسلمين لما كانت حاجة ملحة فى الاعتذار والاستشفاع لنيل رضاها لعلمهم انّه

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۳

رضا الله، ولما ايقنا سخطها تبادر لهما أنسخطها سخط الله، لذا فقد استنجد ابو بكر بالمسلمين لإقالته بيعته واقراره أنسخط فاطمةعليها السلام يلغى شرعية نظامه من الأساس.

لذا فانّ موقف فاطمةعليها السلام ترك أثراً مهماً فى مجريات الاحداث، اذ دفع بالقيادةالى الارتداع ولو مؤقتاً عن مواقف الابتزاز التى استعملت مع علىعليه السلام لأخذ البيعةقهراً.

لذا فقد قالوا: يا خليفة رسول اللهصلى الله عليه وآله ان هذا الامر لا يستقيم، وأنت أعلمنابذلك، انّه كان هذا لم يقم لله دين فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذهالعروة ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة، قال ابن قتيبة: فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضى الله عنهما («۱»). مما يعنى أنالقيادة كانت متوجسة من اثارة غضب فاطمةعليها السلام بالاصرار على مبايعة علىعليه السلام لهم، فكانت تتحسب لمقام فاطمةعليها السلام حسابها متيقنة مدى خطورة حجيتها فى حسمالاحداث وتوجيه المواقف اذا هم تمادوا فى مضايقة علىعليه السلام والتشديد عليه لأخذالبيعة بعد ذلك.

ولا ننسى ما اتخذه الخليفة الاول من موقف المهادن طالما فاطمةعليها السلام قد دخلتفى صلب الاحداث وجعل مطالبته لعلى بالبيعة

مؤجلة مادامت فاطمةعليها السلام الى جنبه.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۴

قال عمر: ألا تامر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الىجنبه («۱»).

والـذى نريد التأكيد عليه أن حجية فاطمةعليها السـلام كان لها الاثر الكبير فى اثبات حقعلىعليه السـلام والذى يعنى من خلال ذلك اثبـات مـامته التى هى فرع النبوّة وكمـال الـدعوة، ولمـا كـان الحـال كـذلك فـانّ دعوة النبىصـلى الله عليه وآله ورسالته توقفت على موقففاطمةعليها السلامودفاعها بما تملكه من حجية الهية بقاءً ودواماً.

كان لهذا الموقف الحاسم للاحداث من قبل فاطمةعليها السـلام بياناً لمن يستحقالشرعية الحاكمة، وكشفاً لمحاولات تزييف الحقائق، اذ بموقفها هـذا حُفظ للاسـلاموجهه الناصع، واحتفظ التاريـخ بوقائع هـذه الاحداث، وكيف كان لموقفها عليها السـلام دوراًفى فضـح المخالفـات الشـرعية والقانونيـة من اجل التوصل الى طموحات شخصـية، وبالمقابل كان ذلك تعريفاً لحقوق اهل البيتعليهم السـلام المغتصـبة، اذ بعـد هذا الموقفالفاطمى أمكن تعميم أحكامه على أى وجود حاكمى يخرج عن نطاق شـرعية أهلالبيتعليهم السـلام مما يعنى أن موقف الزهراء عليها السـلام كان خزيناً من الشـرعية الالهية يستخدمهأهل البيت عليهم السلام ضد أعدائهم، أى أن وقفتها هذه بمثابة وثيقة تكشف خروقات أىنظام حاكم مستقبلًا حتّى صار موقفها راسماً لمسار شرعية الخلافة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۵

وفاصلًا بينها؛ جججك وبين أى نظام مدّعى، لذا عمد بعض المؤرخين الى تشويش وقائع الاحداث والغاءالمواقف الفاطمية الفاصلة، بل جرّ بعضـهم الى انكار بعض هذه المواقف الفاطميةلكيلا يرضخ لمعطياته ولوازمه الشـرعية التى تقضـى بالغاء شرعية حكومة الشيخين، وما ذلك إلا لاقرارهم بحجية فاطمةعليها السلام ومقامها الالهى، فكيف تثبت بعد تعريتهالمواقف القوم حجة شرعية أو قانونية مدّعاة؟ وبعبارة أخرى: انّ موقفها من الغاصبين للخلافة واحتجاج علىعليه السـلام بها فىمواجهتهم يدلل على مدى حجيتها ومقامها فى نفوس المسـلمين وفى دين الاسـلامحيث لم ينفع فيهم ما قـد سـمعوه من أقوال النبىصـلى الله عليه وآله وقرأوه من آيات الكتاب وماشاهدوه من معاجز على فى الحروب، فبقيت محاجتهم بهاعليها السلام مما يدلل علىتسليم المسلمين بأنها حجة فى الشرع، ومن ثم دأب الاول والثانى وكثير منالصـحابة على ثنيها عن السخط عليهم وعن تبريها منهم وعن مقاطعتها لهم، والحوافى استرضائها ولم يفلحوا، ومن ثَم دأب علماء العامّة على انكار مواجهتها لأهلالسـقيفة ومقاطعتها لهم مما يدلل على تسليمهم لحجية فعلها فى الدين ومن ثَميخشون من سلب الشرعية عن خصومها.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۲۹

المقام التاسع شمولها مع أهل البيت فى الا يات النازلة فيهم (ع)

اشتركت السـيدة فاطمة الزهراءعليها السـلام مع أهل البيت عليهم السـلام بما نزل فيهم من آيات، وكان ذلك اشتراك حجية وشـمول منزلة ولزوم طاعة لولايتهاعليها السـلام فضـلًا عما ورد منأحاديث نبوية تشير الى منزلة أهل البيتعليهم السلام وتؤكد فى الوقت نفسه حجيتهم، وكان لفاطمةعليها السلام اشتراكها مع أهل البيتعليهم السلام كذلك.

واستعراض موجز لبعض ما نزل من آيات فى أهل البيتعليهم السلام يمكن أن يكونأحد الشواهد على حجيتها عليها السلام منها قوله تعالى» قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودةفى القربى «(«۱») وقوله تعالى» قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى إلا على الله «(«۲») وقوله تعالى» قل ما سألتكم من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا «(«۳»).

روى السـيوطى فى احيـاء الميت بفضائـل أهـل البيتعليهم السـلام، قـالوا يـا رسول الله منقرابتك هؤلاء الـذين وجبت علينا مودتهم؟ قالصلى الله عليه وآله:» على وفاطمة وولداهما «(«۴»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۰

والمتمعن فى هـذه الآيات وغيرها، ليجد لسان المودة هى ولايتهمعليهم السـلام فالحثعلى مودتهم هو أجر الرسالة بمجموعها وجميع أتعابهصلى الله عليه وآله، فلم يسألهم مالًا ولاضياعاً بل سألهم التمسك بمودتهم وحبهم.

واذا كـان الاجر يعنى التساوى بين متبادلين، اذ لا يصـح أن أحـد البـدلين أقل منالاخر، لئلا تكون فى الاجارة غبناً لا يرتضـيه العقلاء، فكـذلك أجر مـا طلبهصـلى الله عليه وآله منهمقُبالـة دعوته هـذه وهى مودة أهـل بيته عليهم السـلام، ولا يصـح أن تكون مودتهم أقل منرسـالته لئلاـ يكون غبنـاً وتفريطـاً لحق رسالته وهو ما لا يرتضـيه أحـد يخشـى اللهورسوله واليوم الاخر، واذا كان الامر كـذلك فانّ مودتهمعليهم السلام عِدل الدين وثمرةالرسالة.

وببيان آخر: انّ الرسالـة مما قـد اشـتملت على التوحيـد والتصديقبالنبوّة والمعادوبقية الحقائق الحقّة وعلى أركان الدين، ولا يتصور أن يكون شيئاً عِدلًا لها إلا أنيكون على درجة من الخطورة والمنزلة بحيث لا يُقبل الإيمان بتلك العقائد والعملبتلك الاركان إلا به، فلا يمكن أن يكون ذلك حكماً فرعياً من ذيول بعض فروعالـدين، ويكون شـرطاً فى اعظم أصول الـدين، بل الشـرطية والعدليـة تقتضـى بالبداهـةكون منزلة هذا الأمر من الأمور الاعتقادية بل من اصولها بمقتضـى التناسب بينالشـرط والمشـروط، وبين العدل وعِدلِه الآخر، ومن ثَم سوف لا يكون المراد منالمودّة- والتى تختلف لغة عن المحبّة بزيادة شدة الوطأة- إلا فعلًا من

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۱

الأفعالالقلبية الاعتقادية وهى الولاية والتولى من تلك الجماعة المرادة من» القربى «ومقتضـى ذلك أيضاً أن لا تكون تلك المجموعة أو الثلـة إلا معصومـة مطهرة اذ لايعقل أن تكون مودة وتولى والاعتقاد بشـخص أو جماعـة مخالطين للـذنوب أوالجهل هى من أصول الـدين، وعِـدل للتوحيـد والعقائـد الحقّـة، ومن ثَم جعلت هذهالمودّة هى السبيل إلى اللّه والمسـلك إلى رضوانه، وجُعلت فى آية ثالثة فائدتهاراجعـة إلى المكلفين أنفسـهم، أى أنّ هـذا الأـجر ليس من سـنخ أجور النشـأة الدنياويـةو الانتفاعات الماديـة، بل أن ثمرته هو الاهتداء والرشاد بتولى ذوى القربى، كما هومفاد حديث الثقلين» ما أن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدى أبدا «وما أشد مطابقة آيةالمودة مع حديث الثقلين، بل انّ الآية المزبورة هى من متون حديث الثقلين ذاتالسـند القرآنى، فليس ما قد ورد فى جميع الانبياء من قولهم» لاـ أسـألكم عليه أجراًإن أجرى على اللّه «، يغـاير مـا أمر اللّه تعالى ما أمر به نبى الاسـلام من طلب الأجر، اذانّ هـذا الأجر ليس عوض مالٍ، وانّما هو اكمال للدين وإتمام للنعمة على المسـلمينورضا الرب بذلك، اذ لا يتم الرضا إلا باستيفاء الأجر العائد نفعه للمسلمين لا لهصلى الله عليه وآلهولأهل بيته المعصومينعليهم السلام.

وهذا المفاد قد ورد بعينه فى الآيات النازلة فى الحثّ على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام حيث جعل عدم تبليغ ولايته مساوٍ لعدم تبليغ الرسالة، ممّا يقتضى أنولايته هى عِدل الدين وثمرة الرسالة وتمام

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۲

نعمة الإيمان ورضا الرب بالاسـلام دينـاًفبدونها لم يرتضِ تعالى توحيد العباد به ولا تصديقهم بنبيّه وباليوم الآخر مالميوالوا وليه كما لا يكمل توحيـد الناس واقرارهم بالبعثة والمعاد إلا بولاية وليه تعالىكما لا تتم لهم نعمة الايمان لهم إلا بذلك، فليتدبر الناظر وفاق هذه الآيات بعضهابعضاً مع حديث الثقلين ليتجلى له وحدة المضمون كما فى قوله تعالى» يا أيهاالرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته «(«۱») فلما بلّغ فى علىولايته وامامته نزل قوله تعالى» اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتىورضيت لكم الاسلام دينا «(«۲») وهو تصـريح بأن ولاية على بن أبى طالبعليه السلام تعنىكمال الدين وتمام الايمان وعِدل الرسالة، كما أن المودة تُعطى مفهوم الولايـة أيضـاً، فلاـولايـة دون مودة فـانّ مفهومى الولايـة والمودة تعنيان تمام الـدين كلّه، وبتلكالدرجـة وجبت ولايتهم ومودتهم وقـدّمنا أن آيات المودة كانت تشترك فيهافاطمـةعليها السـلام مع أهل البيت الذين نزلت فيهم والتى هى أسـبق فى صدق العنوان، وبماأن مودتها واجبة فانّ ولايتها واجبة للتقريب المتقدم بين مفهومى المودة والولاية.

وبذلك تثبت وجوب ولاية فاطمةعليها السلام ومودتها لنفس الغرض. وبمقتضى أنها عليها السلام من العترة كما فى آية التطهير والمودة وغيرهما،

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۳

فهى من الثقل الثانى، عدل‌القرآن الكريم الواجب على الامة التمسك به، فالتمسك بها شرط الهداية والأمان‌من الغواية والضلالة، ولا يخفى أن مقتضى حديث الثقلين عصمة العترة وحجيتهم‌واحاطتهم بالكتاب كله، وانهم القيمون على تفسير كتاب الله وبيان دلالاته، كما أنهاشاهدة على أعمال العباد وداخلة فى قوله تعالى» وقل اعملوا فسيرى الله عملكم‌ورسوله والمؤمنون «لما تقدم من انها من عباد الله كما فى سورة الدهر الذين لهم‌مقام الاشراف على الابرار، فهم المقربون الذين يشهدون كتاب الابرار فى عليين‌كما فى سورة المطففين.

كما أنها الوسيلة والسبيل الى الله تعالى لقوله تعالى» قل لا أسألكم عليه أجراً إلاالمودة فى القربى «وقوله تعالى» قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى‌ربه سبيلا «فهى الوسيلة والسبيل الى الله والمسلك الى رضوانه، كما أنها المصطفاةلوراثة كتاب الله كما فى قوله تعالى» ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنافمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات «(«۱») حيث أن المورث‌المصطفى لكتاب الله هو السابق بالخيرات لما تقدم من أن المطهر هو الذى يمس‌الكتاب كما فى سورة الواقعة ومن ثم هى عليها السلام من الذين أوتوا العلم الذين فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۴

صدورهم الكتاب آيات بيّنات كما فى قوله تعالى» بل هو آيات بيّنات فى صدورالذين أوتوا العلم «(«۱») وهى كلمات الله التامات وأسمائه الحسنى التى اليها الاشارةفى قوله تعالى» فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه «(«۲») وقوله تعالى:» واذ ابتلى‌ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ «(«۳») وقوله تعالى:» وتمت كلمات ربّك صدقاً وعدلًا لامبدل لكلمات الله وهو السميع العليم «(«۴») وقوله تعالى فى ابراهيم» وجعلهاكلمة باقيةفى عقبه لعلّهم يرجعون «(«۵») اذ هى من العالمين الذين هم الانوار الخمسة التى تعلّم‌آدم أسمائها، وبمعرفتها تأهل آدم لمقام خلافة الله فى أرضه والتى أشير اليها باسم‌الاشارة العاقل فى سورة البقرة، وضمير الجمع العاقل كما فى قوله تعالى:» فلماعرضهم على الملائكة قال انبؤنى بأسماء هؤلاء «(«۶») وبهذا التنبيه والاشارة يتفطن‌اللبيب الى اشتراكهاعليها السلام مع أهل البيت بل سائر ما ثبت لهم من منازل ومراتب‌ومقامات قرآنية.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۷

المقام العاشر ولايتها فى ألا مور العامة

اشارة

بما فيها الاموال العامّة وذلك لدخولها فى عنوان ذوى القربى، بل هى أول من‌يصدق عليها هذا العنوان فلم يكن أحداً أولى بالنبى منهاعليها السلام فتدخل فى ذوى‌القربى اللازم مودتهم أى اللازم ولايتهم، والتى تعنى ولايتهاعليها السلام، وهى عامة كماتدخل فى الولاية المفادة فى آية الانفال والفىء والخمس المقتضية لكون ادارةالاموال العامة تحت نظرها بل ذلك هو عين الولاية فى الامور العامّة، لأنه ملكيةالتصرف فى كل الارض وهو عين ماهية الولاية المزبورة، مع أنهاعليها السلام ليست بامام‌تستقل فى تلك الولاية، بل بالمشاركة مع النبى والامام بنحو طولى وقد نصّت الآيةفى قوله تعالى» وآت ذا القربى حقه «(«۱») بأنها نزلت فيهاعليها السلام للروايات المتواترة بين‌الطرفين، كما أن دخولها فى ذلك العنوان‌عليها السلام وأسبقية رتبتها فى تولى النبى‌صلى الله عليه وآله‌مقتضى لكونها وارثة روحية لمقامات النبى‌صلى الله عليه وآله كما هى وارثة بدنية له‌صلى الله عليه وآله أى‌تكويناً وتشريعاً، والاول بلحاظ

الكمالات المعنونة والمقامات الملكوتية، والثانى‌بلحاظ المناصب والاموال الاعتبارية إلا ما خصصه الدليل كالامامة. وقد وردت‌الاشارة الى هذه الوراثة فى زيارتى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۸

الحسين‌عليه السلام يوم عرفة ما نصّه:» السلام عليك ياوارث فاطمة الزهراء «(»

) وفى زيارة مطلقة له‌عليه السلام كذلك («۲») كما ورد فى زيارة الامام‌على بن موسى الرضاعليه السلام ما نصه:» السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء «(«۳») مما يدلل‌على وقوعها فى سلسلة الوراثة اللدنية النورية للمعصومين الاربعة عشرعليهم السلام‌ومجمل مقاماتهم.

ففى المقام جهات:

الجهة الاولى: ولايتها فى الأموال العامّة ... ص: ۱۳۸

انّ ادارة الاموال العامّة هو من منصب ذوى القربى، ويدلّ عليه قوله تعالى» وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله‌على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللهوللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياءمنكم «(«۴»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۳۹

وكذا قوله تعالى» يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله وللرسول فاتقوا وأصلحواذات بينكم وأطيعو الله ورسوله ان كنتم مؤمنين «(«۱»).

وقوله تعالى» واعلموا أنما غنمتم من شىء فانّ لله خمسه وللرسول ولذى القربى‌واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان‌يوم التقى الجمعان والله على كل شىء ق دير «(«۲»).

ومن المقرر والمحرر فى محله كون الانفال هى الفىء بعينه، وقد جُعلت ولايته‌وملكية التصرف فيه لله وللرسول ولذى القربى. والانفال والفىء كما هو محرر فى‌الفقه، عموم الموارد والمنابع الطبيعية أى الثروة فى بلاد المسلمين، وهى كل أرض‌جلى عنها أهلها أو سلموها طوعاً بغير قتال أو كانت خربة بادَ أهلها وكل مالم‌يوجف عليه بخيل ولا ركاب ورؤوس الجبال وبطون الاودية والاجام والموات‌التى لا أرباب لها والمعادن وصفايا الملك وقطائعهم وما يصطفى من الغنيمة فى‌الحرب، وميراث من لا وارث له، والغنائم من الحرب والقتال بغير اذن الامام.

وكذا الحال فى ضريبة الخمس سواء فى غنائم الحرب ومطلق ما يغنمه الانسان‌فى كسبه من ارباح التجارات والصناعات وغيرها.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۰

وكذلك ما يستخرج من معادن وكنوز وما يستخرج بالغوص، والمال المختلطبالحرام لأجل تطهيره وأرض الذمى اذا اشتراها من مسلم، وقد جبى رسول الله‌صلى الله عليه وآله‌الخمس من المسلمين من أرباح مكاسبهم كما دلّت على ذلك مصادر الفريقين («۱»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۱

وضريبة الخمس من أكبر الضرائب المقننة فى الشريعة الاسلامية، فهى تفوق‌الزكاة.

ومن المقرر فى الفقه أن ولاية الخمس وملكية التصرف فيه هى لله وللرسول‌ولذى القربى وذلك لمكان اللام- لا الملكية- فى الآيات» لله وللرسول ولذى‌القربى «وهذه بخلاف الموارد الثلاثة الاخرى وهى» اليتامى والمساكين وابن‌السبيل «مما يدلل على أن الاخيرة مصرف- أى مورد للصرف- من دون أن يكون‌ملكاً لهم ولا ولايته راجعة لهم، وغيرها من الادلة الدالة على ذلك كالروايات المستفيضة وقد علل تقنين ولاية الاموال العامة لذوى القربى فى سورة الحشر بأن‌الحكمة فيه هى ارساء العدالة الاقتصادية والمالية فى المجتمع المسلم وازالة الطبقية الفاحشة فلا تكون الثروة عندئذ حكراً متداولًا بين الاغنياء» كى لا يكون‌دولة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۲

بين الاغنياء منكم «وقد شددت كلًا من سورتى الحشر والانفال على خطورةهذا المقام وان اغتصابه يقابل بشدة العقاب من الله تعالى وبزوال الايمان لقولهتعالى» ان كنتم مؤمنين «وهذا ما قد حدث فعلًا، حيث أن باغتصاب هذا المقام بدأالتفاوت الطبقى فى الأموال العامة حتى خصصت بعض زوجات النبىصلى الله عليه وآله فىالعهد الاول وبعض رموز السقيفة باعطيات من بيت المال دون سائر المؤمنينواستشرى ذلك أكثر فى عهد الثانى حيث فرّق فى العطاء بين المهاجرين والانصار («۱»)، وبين العرب والعجم، وبين الاسود والابيض وبلغ ذروته فى عهدالثالث حتى ثار عليه المسلمون- كما هو معروف فى مدونات التاريخ-.

الجهة الثانية: المراد من ذوى القربى ... ص: ۱۴۲

انّ المراد بذوى القربى فى الآيات السالفة من آيات الفيء والخمس، خصوصفئة معينة من ذوى القربى، لا كل ذوى القربى، أى الفئة التى تتصف بالعصمة عنالخطأ والجهل ولها مقام وشأن الحجية الالهية، ويشهد لذلك أمور:

الاول: انّه قد عُلل جعل ولاية الاموال العامة فى آية الفيء والانفال بما تقدم ذكره- عند الجهة الاولى- وهو ارساء العدالة الاجتماعية فى التوزيع المالى وغيره منالانشطة المالية، وبالتالى يتم تحقيق العدالة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۳

الاقتصادية، وينعدم الفارق الطبقىالفاحش ومن ثمّ فلا تكون هناك طبقات مسحوقة، ومن الواضح ان هذه الغايةتحتاج الى كفاءة ذات صفة علمية خاصة وصفة عملية خاصة، أى أن الكفاءةالعلمية يجب أن تبلغ درجة كفيلة بالاحاطة بالأمور سواء من جهة موضوعاتالابواب المالية أو من جهة مجموعة القوانين الشرعية كما هى فى اللوح المحفوظ، فلا يعيقه عدم الالمام بأطوار الانشطة المالية، ومدى سلامتها وصحتها الشرعية- القانونية، كما لا يعيقه الجهل بالطرق والحلول المالية المواكبة لتطورات مناخ الحياة الاجتماعية المستجدة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر يجب أن تكون امانته والصفة العملية فيه بدرجة يكونمعصوماً عن اتباع الهوى أو العصبية فلا يؤثر فئة على اخرى، أى عدم تخصيصفرص المال بفئة دون أخرى، كما لا تحمله العصبية والغضب للاقدام على حرمانجماعة أو قوم دون اخرين، وهذا لا يتوفر إلا فى من عُصِمَ من ناحية العلم والعمل.

الثانى: انّ مقتضى آية التطهير هو عصمة خصوص أصحاب الكساء من ذوىالقربى دون غيرهم، ومقتضى المناسبة مع مقام الولاية على الأموال العامّةتخصيصها بالمطهرين دون غيرهم من ذوى القربى.

الثالث: انّ مقتضى عنوان القرابة الذى خُصِص بهذا الشأن انطباقه على الأقربفالأقرب بحسب القرب فى الرحم، كما هو الحال فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۴

كل مورد تنتقل ولايةالشخص الى ولاية الأقرب فالأقرب والذى يليه.

الرابع: ما سيأتى فى الجهة اللاحقة تطبيق النبىصلى الله عليه وآله فى روايات الفريقين عنوانالقربى على فاطمةعليها السلام وكذا على أصحاب الكساء، وقد تقدم فى الجهات السابقة.

فتحصّل من الجهة الثانية ارادة ذوى القربى المعصومينعليهم السلام.

الجهة الثالثة: الزهراءعليها السلام أول من ينطبق عليها ذوى القربى ... ص: ۱۴۴

انّ أول من ينطبق عليه عنوان ذوى القربى رتبة هى الصديقة الزهراء صلواتاللهعليها وذلك بمقتضى بنوتها لهصلى الله عليه وآله فهى أقرب رحماً، ويشهد لذلك أيضاً ما نزلمن قوله تعالى» وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل «(«... ۱») حيث دعاصلى الله عليه

وآلهفاطمةعليها السلام فأعطاها فدكاً كما فى روايات الفريقين («۲»).

فيستنتج من ذلك أن أول من يصدق عليه» ذوى القربى «فى آية الانفال وآيةالخمس هى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وبالتالى فهى ممن جعل لهم مقام الولايةفى الاموال العامة وان لم تكن اماماً.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۵

الجهة الرابعة: إذنها فى الخمس والأنفال بمقتضى ولايتهاعليها السلام ... ص: ۱۴۵

ما ورد فى روايات اباحة الخمس والانفال لشيعتهم المحمول على الموارداالمخصوصة الثلاثة فتوى ونصاً قد تضمنت تلك الروايات اذن الصديقة عليها السلام فىذلك بجانب اذن الرسولصلى الله عليه وآله واذن الامير واذن الحسنين وباقى الائمة عليهم السلام.

وهذا يؤكد الاستفادة السابقة فى الجهات المتقدمة من أن تدبير وولاية الاموالالعامّة كان ثابتاً للصديقة الزهراءعليها السلام فى حين ثبوته للأئمة وان لم تكن هى إماماً. وهذه الاباحة فى الموارد الخاصة منهمعليهم السلام ومنها كذلك متسالم عليه ومقتضاهاالتسالم على المفاد المزبور.

كما أن ذلك يشهد لما تقدم من عدم منافاة ما دل من الروايات المستفيضة والمتواترة على تفسير ذوى القربى بالامام عدم منافاته مع صدق عنوان ذوى القربى عليها أيضاً فى آيات الانفال والخمس، مع أن فى بعض روايات الخمس والانفال تفسير ذوى القربى بالحجة فى زمانه، وهذا عنوان منطبق عليها.

فمن هذه الروايات:

۱- رواية أحمد بن محمد المعتمدة فى العديد من أحكام باب الخمس، فىحديث قالعليه السلام:» والذى للرسول هو لذوى القربى والحجة

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۶

فى زمانه فالنصف لهخاصّة «(«۱»).

۲- ومن تلك الروايات صحيحة الفضيل عن أبى عبداللهعليه السلام قال:» من وجد بردحبنا فى كبده فليحمد الله على أول النعم، قال: قلت: جعلت فداك ما أول النعم؟ قال: طيب الولادة، ثم قال ابو عبداللهعليه السلام: قال أمير المؤمنينعليه السلام لفاطمةعليها السلام: أحلى نصيبكمن الفىء لاباء شيعتنا ليطيبوا، ثم قال ابو عبداللهعليه السلام: انا أحللنا أمهات شيعتنا لأبائهملطيبوا «(«۲»).

۳- وفى قوية عبدالله بن سنان عن أبى عبداللهعليه السلام قال:» قال ابو عبداللهعليه السلام: علىكل امرىء غَنِمَ أو اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمةعليها السلام، ولمن يلى امرها من بعدها منذريتها الحجج على الناس فذاك لهم خاصة، يضعونه حيث شاؤوا، اذ حرّم عليهم الصدقةالى اخر قوله «(«۳»).

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۷

ومحل الاستشهاد فى هذه الرواية موضعين:

الاول: تصريحهعليه السلام بأن ذى القربى هى فاطمةعليها السلام.

الثانى: تخصيص ما لفاطمةعليها السلام من ولاية التصرف وملكية التدبير، بانتقاله الىالحجج المعصومين من ذريتها دون باقى ذريتها، الدال على الوراثة فى المناصبالالهية او الولاية فى الامور العامّة لا فى الشؤون الفردية العادية التى يستوى فيهاالمعصوم مع غير المعصوم فى الارث، مما يعنى أن لها هذا المقام والمنصب الالهىوالولاية فى ادارة الاموال العامة.

وبتعبير آخر: أنه كما أن ولاية الله أو الرسول فى الخمس باقية الى يوم القيامةبمقتضى آية الخمس والانفال والفىء كذلك الحال فى ولاية الزهراءعليها السلام فىالخمس والانفال والفىء باقية دائماً فى طول ولاية الله ورسوله، وأن غاية الامر أنالائمة من ذريتها ينوبون

عنها فيما لها من ولايةٍ.

على أن ولايـة الرسول‌صـلى الله عليه وآله قائمـة بالفعل الى يوم القيامة والمبلّغ عنه اوامره‌ونواهيه بعد ارتحاله الشـريف هو الامام القائم الحى، وهـذا أمر مرتكز عند كل‌متشـرع بدين الاسـلام، نظير ما احتج الامام الحسين‌عليه السـلام على ابن عباس فى خروجه‌الى العراق بأمر النبى‌صلى الله عليه وآله ايّاه فى الرؤيا.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۸

۴- طائفـة من الروايـات العديـدة الـتى فسـرت ذوى القربى بأهـل الـبيت‌و فاطمـة عليهـا السـلام منهم بمقتضـى آيـة التطهير والنصوص المستفيضة والمتواترة فيها («۱»).

ونموذج من تلك الطائفة صـحيحة أبى خالد الكابلى عن أبى جعفرعليه السـلام قال:» وجدنا فى كتاب على‌عليه السـلام أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. أناوأهل بيتى الذين أورثنا الله الارض، ونحن المتقون، والارض كلها لنا «(«۲») الحديث.

۵- ما يأتى من الروايات فى الجهة اللاحقة فى قوله تعالى» وآت ذا القربى‌حقه «أن المراد بذوى القربى اولهم فاطمة عليها السلام.

الجهة الخامسة: الآية تُثبت كونهاعليها السلام أبرز أفراد ذوى القربى ... ص: ۱۴۸

قوله تعالى» وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل «(«۳»).

والبحـث فى هـذه الآيـة موضوعـاً ومحمولًـا دال على كـون ذوى القربى المراد بهـم‌فى أبرز أفراده هى فاطمـةعليها السـلام مـن نـاحية الموضوع، ومن ناحية المحمول المرادبالحق هو ملكية تصرّفها فى الاموال العامّة من الانفال والفىء وملكيتها فى‌الخمس، على أن الآية نزلت

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۴۹

فى فاطمـةعليها السـلام كما هو عليه الفريقان، فممن روى أنهانزلت فى فاطمةعليها السـلام ما فى معارج النبوّة قال لما نزل جبرئيل الى رسول الله بقوله‌تعالى» وآت ذا القربى حقه «قال رسول الله» من ذو القربى وما حقّه؟ قال: هو فاطمةفاعطها فدك «(«۱»).

الجهة السادسة: ثبوت الخمس لها ومطالبتها به يقتضى ولايتها العامّة ... ص: ۱۴۹

اشارة

انّ ثبوت حقها فى الخمس بعنوان ذوى القربى ومطالبتها به عند مخاصمتها لأبى‌بكر محتجة على ذلك لكونها أول قرابة النبى‌صلى الله عليه وآله- كما قـد تبيّن ذلك فى الجهةالسابقة- مقتضٍ لثبوت ولايتها العامة، وان لم تكن اماماً وذلك لأن الخمس أكبرضـريبة مالية فى التشريع الاسـلامى، وهى تزيـد على حاجـات بنى هاشم- زادهم اللهشـرفا اذ الخمس كما هو واضـح هو ۲۰٪ من مجموع رسـاميل الامـة، وهـذا المقدارالهائل من المال مقوم لمقام الولاية العامة على الناس، وهذا ما دفع أهل السـقيفةوالانظمة المتعاقبة بعدهم الى منع الخمس عن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۰

أهل البيت‌عليهم السـلام حيث قـد فطنوا الى مايعنيه الخمس من الولايـة العامة وهو ما أفصح عنه قول عمر الى أبى بكر عندما أشارالية بمنع الخمس عن أهل البيت‌عليه السـلام علل ذلك بأن الخمس موجب لحكومـة أهل‌البيت على الناس حيث قال: انّ الناس عبيـد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن‌على الخمس والفىء وفدك فانّ شيعته اذا علموا بذلك تركوا علياً رغبة فى الدنياوايثاراً ومحاباة عليها («۱»). وهو ما دعى عمر بن الخطاب كذلك أن يقول فى‌مخاصـمته للصديقةعليها السـلام: وأنت تدّعين أمراً عظيماً يقع فيه الردة بين

المهاجرين والانصار («۲») ودعاه إلى أن يقول أيضاً: فضعى الحبال فى رقابنا («۳»)، قال المجلسى فىشرحها: أى انّك إذا أعطيت ذلك وضعت الحبل على رقابنا وجعلتينا عبيداً لكِ، وإذا حكمت على مالم يوجف عليه أبوك بأنها ملككِ فاحكمى على رقابنا أيضاًبالملكية.

وفى سنن البيهقى فى باب سهم ذوى القربى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: لقيت علياًعليه السلام عند أحجار الزيت فقلت له: بأبى وأمى ما فعل ابو بكر وعمر فىحقكم أهل البيت الخمس؟ قالعليه السلام:» انّ عمر قال لكم حق ولا يبلغ علمى اذا كثر أنيكون لكم كله، فان شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم فأبينا عليه إلا كلّه، فأبى أن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۱

يعطينا كله «(«۱»). ولأجل ذلك تشدد ابو بكر وعمر فى منع الخمس عنهم.

وفى تفسير الطبرى عن قتادة أنه سأل عن سهم ذى القربى فقال: كان طعمةلرسول اللهصلى الله عليه وآله، فلما توفى حمل عليه ابو بكر وعمر فى سبيل الله صدقة عنرسول اللهصلى الله عليه وآله («۲»).

وفى سنن البيهقى أيضاً عن أبى الطفيل قال: جاءت فاطمةعليها السلام الى أبى بكرقالت: ما بال الخمس، قال: انى سمعت رسول الله يقول اذا أطعم الله نبياً طعمة ثمقبضه كانت للذى يلى بعده، فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين («۳»).

وفى مسند أحمد وسنن البيهقى كان ابو بكر يقسّم الخمس نحو قسم رسولالله غير أنه لم يكن يعطى قربى رسول اللهصلى الله عليه وآله ما كان النبى يعطيه منه («۴»).

وهذا كما تراقرار من أبى بكر بكون جعل الخمس لذوى القربى هو منشؤون ولاية أهل البيت العامّة وبالتالى من شؤون ولاية الزهراءعليها السلام فى الامور العامّةوان لم تكن اماماً.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۲

تأملات جديدة فى محاججات فدک ... ص: ۱۵۲

بل انّما نسبه ابو بكر الى الرسولصلى الله عليه وآله من القول ما تركناه صدقة حجة على أبىبكر تخصمه من جهتين:

الأولى: هب أن الخمس والفيء والانفال الخاص برسول اللهصلى الله عليه وآله- كما يقر بذلكابو بكر وليس هو للمسلمين- هو صدقة قد تصدق بها رسول اللهصلى الله عليه وآله فى سبيل الله، الا أن الكلام فى من تكون له النظارة والاشراف على تلك الصدقة المسبلة فانّ الذىيخلف المتصدق فى الصدقات المسبلة والصدقات الجارية هو وارث المتصدق لاالاجنبى، فأحق من يقوم مقام رسول اللهصلى الله عليه وآله ويكون ناظراً فى صدقاته الجارية هووارثه، وهى الصديقة الطاهرةعليها السلام، ومن ثم هى التى يكون لها الولاية العامة على هذهالاموال فيعود ما رواه خاصماً له داحضاً لدعواه.

الثانية: أن ابا بكر بوضع يده على الخمس مبرراً ذلك بأنه لولى الامر ولاية عامةاقرار منه بأن جعل الخمس لذوى القربى منه تعالى مقرونين بالرسول هو جعللولاية العامة لهم ولولاية الامر.

هذا وقد أشار الى ذلك- أى أن مقتضى اختصاص الخمس بذوى القربى هوولاية عامة- الفقيه الامام السيد الخمينى رحمه الله تعالى بقوله: الخمس أحدالموارد الضخمة التى تصب فى بيت المال ويشكّل أحد مصادر الميزانية وبحسبمذهبنا يؤخذ الخمس

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۳

بشكل عادل من جميع المصالح سواء الزراعة أو التجارة أوالمصادر المخزونة فى جوف الارض أو الموجودة فوقها وبشكل عام من جميعالمنافع والعوائد بنحو يشمل الجميع من بائع الخضار على باب المسجد الى العاملفى السفن أو من يستخرج المعادن فهؤلاء عليهم دفع الخمس من أرباحهم بعدصرف المصارف المتعارفة الى الحاكم الاسلامى لكى يضعه فى بيت المال، ومنالبديهى أن

مورداً بهذه العظمة انّما هو لأجل ادارة بلد اسلامى وسد جميع حاجاتهالمالية فعندما نحسب ارباح جميع البلدان الاسلامية أو جميع أنحاء الدنيا فيما لوصارت تحت الحكم الاسلامى- يتضح لنا أن الهدف فى وضع ضريبة كهذه ليس‌مجرد سد حاجة السادة الهاشميين وعلماء الدين بل ان القضية أهم من ذلكفالهدف هو سد الحاجة المالية لجهاز حكومى كبير ففى ما لو قامت الحكومة الاسلامية فيجب أن تدار بواسطة هذه الضرائب من الخمس والزكاة- ومقدار الزكاةبالطبع ليس كبيراً والجزية والخراج) الضرائب على الاراضى الوطنية الزراعية (- فالسادة الهاشميون ليسوا بحاجة الى ميزانية كهذه اذ خمس ارباح سوق بغداديكفى للسادة ولجميع الحوزات العلمية وجميع فقراء المسلمين فضلًا عن أسواقطهران واسطنبول والقاهرة وسائر الاسواق، فتعيين الميزانية بهذه الضخامة يدلعلى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۴

أن الهدف هو تشكيل حكومة وادارة بلد. («۱»)

وأخرج المجلسى فى البحار عن مصباح الانوار عن ابن بابويه مرفوعاً الى أبى‌سعيد الخدرى قال:» لما نزلت» وآت ذا القربى حقه «قال رسول الله صلى الله عليه وآله] لفاطمةعليها السلام [: لكِ فدك «وفى رواية أخرى عنه أيضاً مثله، وعن عطية قال:» لما نزلت» وآت ذا القربى حقه «دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فدك «وعن على بن‌الحسين‌عليهما السلام قال:» اقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدك «وعن أبان بن تغلب عن أبى‌عبداللهعليه السلام قال:» قلت أكان رسول اللهصلى الله عليه وآله أعطى فاطمة فدك؟ قال: كان رسول اللهصلى الله عليه وآلهوقفها فانزل الله» وآت ذا القربى حقه «فاعطاها رسول اللهصلى الله عليه وآله حقها قلت: رسول‌اللهصلى الله عليه وآله أعطاها؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاها «(«۲») الى غيرها من الروايات الاتية.

فكون فاطمةعليها السلام مورداً لنزول الآية أمر محقق بين الفريقين، مضافاً الى اقتضاءعنوان ذى القربى ذلك كما مرّ. فيقع البحث فى مفاد الحكم فى هذه الاية وعن‌معنى الحق الذى أمر تعالى نبيّه

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۵

باعطائه فاطمةعليها السلام، هل هو قضية فى واقعة، أم أنهبنحو القضية الحقيقية الدائمة ومن اجل ذلك استحقت نزول قرآن فيها، وإلا لكانأمراً الهياً ينزل به الوحى من دون أن يكون قرآناً يُتلى على أسماع المسلمين الى‌يوم القيامة. وبالتالى تنتهى الى أن البحث عن هذا الحق هل هو مغاير للحق الذى‌جعل لذى القربى فى آية الخمس وآيات الانفال والفىء وهو ملكية التصرف فى‌الاموال العامة وولايتهم فيها أم أنه حق آخر.

الظاهر أنه الوحدة والاتحاد، وذلك لأن ظاهر الآية ليس ابتداء تشريع الحق‌لذى القربى وانّما هو تنجيز وتنفيذ ما قد شرّع وجُعل فهو أمر بالمعاجلة فى الاداءوالانجاز لما قد قُرر سابقاً، نظير قوله تعالى فى آيات الغدير» يا أيها النبى بلّغ ماأنزل اليك من ربك وان لم تفعل ما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس انّ الله لا يهدى‌القوم الكافرين «(«۱») حيث أن الامر فى الآية ليس إلا بتبليغ وانفاذ ما قد أمر به سابقاً، أى أن الامر متعلق بتعجيل الانجاز وعدم التراخى والتأخير خوفاً من عدم ايمان‌الناس بذلك وعدم استجابتهم فكذا الحال فى آية» وآت ذا القربى حقه «حيث أنهذا الحق قد قُرر وجُعل سابقاً فى آيات الفىء والانفال والخمس إلا أن النبى‌صلى الله عليه وآله لميُنجزه خشية من ارجاف المنافقين والطعن على

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۶

النبى‌صلى الله عليه وآله وبالتالى تزلزل ايمان‌واستجابة الناس لأمر الله تعالى.

ولعل فى ابطائهصلى الله عليه وآله ارادة منه لتأكيده تعالى بقرآن اخر قاطعاً شك المرتابين كماتشعر به كل من آيات الخمس والفىء والانفال، حيث ذُيّلت آية الانفال بقوله تعالى» ى أيهاالرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين «وذيّلت آيةالفىء أيضاً بقوله تعالى» ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله انّالله شديد العقاب «. وذيّلت آية الخمس بقوله تعال» ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلناعلى عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على

كل شيء قدير «مما ينبيء عنعدم انصياع الناس وتزلزل خطبهم فى حق ذى القربى وهو ولايتهم على الاموال‌العامة.

رؤية جديدة فى فدك ... ص: ۱۵۶

ومما يدعم أن اعطاء فدك لم تكن قضية فى واقعة بل هو حق مستمر الى يوم‌القيامة ان خصام الصديقةعليها السلام مع أبى بكر فى أمر فدك كان احتجاجاً بحق ذوى‌القربى وملكية تصرفهم فى الفيء والانفال وخمس الغنائم، فلم يكن خصامها؛ سسگ‌يمنصبّاً على خصوص فدك كما لم يكن خصامها فى فدك مقدمة أو كناية للاحتجاج‌فى ولاية وامامة على‌عليه السلام فحسب، بل ان الخصام فى فدك هو بعينه احتجاج لولاية‌أهل البيت وامامتهم عليهم السلام، لأن فدك التى أعطاها

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۷

النبى‌صلى الله عليه وآله لفاطمة بنزول الآية هوانجاز لحقهم فى ملكية التصرف فى الفيء والانفال وخمس الغنائم، فالخصام فى‌فدك بعينه خصام فى ولاية أهل البيت‌عليهم السلام لأن الولاية على الفيء والانفال كما تقدم‌يستلزم الولاية والامامة العامة- وان كان ملكيتها عليها السلام لفدك هى بوجوه متعددة من‌كونهانحلة وكونها اداء لدين مهر خديجة وكونها إرثاً وكونها تحت يدها وكونهامطهرة معصومة لا تقول إلا الصدق، وغيرها من الوجوه التى تتبيّن بالتدبر عندمحاجّتها فى فدك. وقد كان احتجاجها والمطالبة بفدك بكل تلك الوجوه- الا ان‌عمدة وجوه الاحتجاج هو بحق ذوى القربى وولايتهم فى الانفال والفيء ويلوح‌من ثقة الاسلام الكلينى ذلك حيث يقول وأما الانفال فليس هذه سبيلها فهى كانت‌للرسول‌صلى الله عليه وآله خاصة وكانت فدك لرسول الله‌صلى الله عليه وآله خاصة لانه‌صلى الله عليه وآله فتحها وأميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن معهما أحد («۱») ويصرح بذلك من الروايات:

الاولى: ما رواه الكلينى والشيخ فى التهذيب باسنادهما عن على بن اسباط قال:» لما ورد ابو الحسن موسى‌عليه السلام على المهدى رآه يرد المظالم فقال يا أمير المؤمنين مابال مظلمتنا لا تُرد فقال له وما ذاك يا أبا الحسن قال: ان الله لما فتح على نبيه‌صلى الله عليه وآله فدك‌وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله» وآت ذا القربى‌حقه «

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۸

فلم يدر رسول الله‌صلى الله عليه وآله من هم فراجع فى ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل‌عليه السلام ربّه‌فأوحى الله اليه أن ادفع فدك الى فاطمة‌عليها السلام فدعاها رسول الله‌صلى الله عليه وآله فقال لها يا فاطمة انّ‌الله أمرنى أن أدفع اليك فدك، فقالت قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك فلم يزل‌وكلائها فيها حياة رسول الله‌صلى الله عليه وآله فلما ولى ابو بكر أخرج عنها وكلائها فأتته فسألته أن‌يردها عليها، فقال لها أئتينى بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك فجاءت بأميرالمؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقيها‌عمر فقال ما هذا معك يا بنت محمد، قالت: كتاب كتبه لى ابن أبى قحافة، قال أرنيه‌فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه فقال لها هذا لم يوجف أبوك‌فضعى الحبال فى رقابنا فقال له المهدى: يا ابا الحسن حدها لى، فقال حد منها جبل‌أحد وحد منها عريش مصر وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له كل‌هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، ان هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول‌الله‌صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب فقال: كثير وأنظر فيه «(«۱»).

وفى البحار عن المناقب أن هارون الرشيد كان يقول لموسى‌بن جعفر: خذفدكاً حتى أردها اليك، فيأبى حتى الحّ عليه فقال‌عليه السلام» لا آخذها إلا بحدودها، قال: وماحدودها؟ قال: ان حددتها لم تردها قال:

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۵۹

بحق جدك إلا فعلت؟ قال: أما الحد الاول فعدن‌فتغير وجه الرشيد وقال: أيهاً قال: والحد الثانى سمرقند فاربّد وجهه قال: والحد الثالث‌افريقية فاسودّ وجهه وقال: هيه قال: والرابع سيف البحر مما يلى الجزر وارمينية قال‌الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل الى مجلسى

قال موسى: قد أعلمتك أننى ان حددتها لم‌تردّها فعند ذلك عزم على قتله «(«۱»).

وفى هذه الرواية دلالة واضحة على اتحاد الحق فى قوله تعالى» وآت ذا القربى‌حقه «والحق فى الفيء والانفال الذى لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كما أن فيه‌تصريح بأن أول مصاديق ذوى القربى هى فاطمةعليها السلام كما أن فى الرواية تصريح بأن‌حقها عليها السلام يمتد بامتداد الانفال وسعتها، فالبلاد التى لم تفتح بيد رسول اللهصلى الله عليه وآله ولابأذنه فهى من الانفال وبالتالى تكون متعلقة بحق الصديقة عليها السلام، ومن بعدها للائمةمن ذريتها ومن ثم فلا يقتصر حقها فى ملكية التصرف فى الاموال العامة، بل أنولايتها تشمل التدبير فى مطلق الامور العامة فى الوقت الذى كانت الولاية بيدالرسولصلى الله عليه وآله ومن بعده للامام أمير المؤمنين‌عليه السلام بلا تعارض بين هذه الولايات، أى‌بنحو الطولية، كما هو الحال بين ولاية الله تعالى وولاية الرسول وولاية الامام‌المعصوم وسيأتى بيان ذلك فى الجهة اللاحقة.

وبعبارة أخرى أنما ورد من أن الارض كلها للإمام، المراد به هو

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۰

كون الانفال له‌ومعنى كون الارض كلها له ملكية التصرف وولاية التصرف فيها، وهذه الملكية فى‌حين أنها ليست على حذو الملكية الفردية الخاصة بل بمعنى ولايته على الارض‌وتدبير أمورها، هى ملكية أيضاً بالمعنى الاصطلاحى كذلك، اذ لا معنى للملك الاالسلطنة على التصرفات، فيتبيّن من ذلك انّ الملكية للفيء والانفال والارض ليست‌ملكية مالية محضة بل هى علاوة على ذلك ولاية تصرف وتدبير وحيث أن‌الصديقةعليها السلام ممن له الحق فى الانفال والفيء فهى ذات ولاية فى الامور العامة‌وملكية تصرف وتدبير فيها، وان لم تكن ولايتها مستقلة كالامامة ومن ثم فسر الامام الكاظم عليه السلام حقّ الصديقة فى فدك والذى ورثه هوعليه السلام عن جدته الصديقة عليها السلام فسره‌بالولاية العامة على بلاد المسلمين، لا كما يقال من معنى الرواية بأنه‌عليه السلام كنّى عن‌حقّه فى الامامة والولاية بحق الصديقة فى خصوص فدك، بل الاصل فى تعبيره‌عليه السلام‌أن حق فدك استحقته‌عليها السلام باستحقاقها فى الانفال والفيء الذى هو الولاية فى الامورالعامّة لا أنه يستلزمه وتفصح آية الفيء عن ذلك حيث تعلل اختصاص ذوى‌القربى بالفيء والانفال بأنه موجب للعدالة المالية والاقتصادية بين المسلمين. ومن‌البيّن أن تلك العدالة لا تتحقق إلا لمن يملك زمام الامور العامة، فهذا الاختصاص‌فى حين أنه ملكية بتمام ما للملكية من معنى فهو أيضاً ولاية للأمور العامة لما تقدم‌من أن الملكية ليست إلا السلطنة على التصرفات. نظير هذه الرواية ما

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۱

ورد فى‌البحار من أخبار الخلفاء وتعاطيهم فى فدك.

الثانية: ما رواه المفضل عن الصادق‌عليه السلام قوله:

» لما ولى ابو بكر بن أبى قحافة قال له عمر: ان الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون‌غيرها، فامنع عن على وأهل بيته الخمس والفيء، وفدكاً، فان شيعته اذا علموا ذلك‌تركوا علياً وأقبلوا اليك رغبة فى الدنيا وايثاراً ومحاباة عليها، ففعل ابو بكر ذلك وصرف‌عنهم جميع ذلك فلما قام- ابو بكر بن أبى قحافة- مناديه: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله‌دين أو عدة فليأتنى حتى أقضيه، وأنجز لجابر بن عبدالله ولجرير بن عبدالله البجلى.

قال: قال على‌عليه السلام لفاطمة عليها السلام صيرى الى أبى بكر وذكريه فدكاً، فصارت فاطمة اليه‌وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال: هاتى بيّنة يا بنت رسول الله فقالت: أما فدك، فانّ الله عزوجل أنزل على نبيّه قرآناً يأمر فيه بأن يؤتينى وولدى حقى، قال الله تعالى» فآت ذا القربى حقه «فكنت أنا وولدى أقرب الخلائق الى رسول اللهصلى الله عليه وآله فنحلنى‌وولدى فدكاً، فلما تلا عليه جبرئيل‌عليه السلام» والمسكين وابن السبيل «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حق المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله تعالى» واعلموا أنما غنمتم من شيء فانّ للهخمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل «فقسم الخمس على‌خمسة أقسام، فقال» ما

أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربىواليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۲

يكون دولة بين الاغنياء «فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله فهو لذى القربى، ونحن ذو القربى، قال الله تعالى:» قل لا اسألكم عليهأجراً إلا- المودة فى القربى «فنظر ابو بكر بن أبى قحافة الى عمر بن الخطاب وقال: ماتقول؟ فقال عمر: ومَن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ فقالت فاطمةعليها السلام اليتامىالذين يأتمون بالله وبرسوله وبذى القربى والمساكين الذين اسكنوا معهم فى الدنياوالاخرة، وابن السبيل الذى يسلك مسلكهم قال عمر: فاذن الخمس والفيء كله لكمولمواليكم وأشياعكم؟ فقالت فاطمةعليها السلام أما فدك فأوجبها الله لى ولولدى دون مواليناوشيعتنا وأما الخمس فقسمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ فى كتاب الله، قالعمر: فما لسائر المهاجرين والانصار والتابعين بأحسان؟ قالت فاطمة: ان كانوا موالينامن أشياعنا فلهم الصدقات التى قسّمها الله وأوجبها فى كتابه فقال الله عزوجل» انماالصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب «قال عمر: فدك لك خاصة والفيء لكم ولأوليائكم؟ ما أحسب أصحاب محمد يرضون بهذا؟ قالتفاطمة: فانّ الله عزوجل رضى بذلك ورسوله رضى به، وقسّم على الموالاة والمتابعة لاعلى المعاداة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله ومنخالف الله فقد استوجب من الله العذاب الاليم والعقاب الشديد فى الدنيا والاخرة، فقال عمر: هاتى بيّنة يا بنت محمد على ما تدّعين؟! فقالت فاطمةعليها السلام قد صدّقتم جابربن عبدالله وجرير بن عبدالله ولم تسألوهما البيّنة! وبيّنتى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۳

فى كتاب الله، فقال عمر: انجابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّناً، وأنت تدعين أمراً عظيماً يقع به الردة من المهاجرين والانصار، فقالت عليها السلام: ان المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا الى دينه، والانصار بالايمان بالله ورسوله وبذى القربى أحسنوا، فلا هجرة إلا- الينا ولا نصرة إلالنا، ولا اتباع باحسان الا بنا، ومن ارتد عنا فالى الجاهلية. فقال لها عمر: دعينا منأباطيلك، واحضرينا من يشهد لك بما تقولين!! فبعثت الى على والحسن والحسين وأمايمن وأسماء بنت عميس- وكانت تحت أبى بكر بن ابى قحافة- فأقبلوا الى أبى بكروشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته فقال: أما على فزوجها، وأما الحسن والحسينابناها، وأمّ أيمن فمولاتها، وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن ابى طالبفهى تشهد لبنى هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرّون الىأنفسهم، فقالعلىعليه السلام: أما فاطمة فبضعة من رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن آذاها فقد آذى رسول اللهصلى الله عليه وآله ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأما الحسن والحسين فابنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسيدا شبابأهل الجنّة، ومن كذّبهما فقد كذّب رسول اللهصلى الله عليه وآله اذ كان أهل الجنة صادقين، وأما أنافقد قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنت منّى وأنا منك، وأنت أخى فى الدنيا والاخرة والراد عليكهو الراد علىّ، ومن أطاعك فقد أطاعنى، ومن عصاك فقد عصانى، وأما أم أيمن فقدشهد لها رسول اللهصلى الله عليه وآله بالجنّة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها، قال عمر: أنتم كماوصفتم أنفسكم، ولكن شهادة الجار الى نفسه لا تقبل، فقال علىعليه السلام: اذا كنا كما نحن

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۴

تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تُقبل، فإنّا لله وانّااليه راجعون، اذا ادعينا لانفسنا تسألنا البيّنة؟ أفما من معين يُعين، وقد وثبتم علىسلطان الله وسلطان رسوله، فاخرجتموه من بيته الى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجة» وسيعلم الذين ظلموا أىّ مُنقلبٍ ينقلبون «ثم قال لفاطمة: انصرفى حتى يحكم اللهبيننا وهو خير الحاكمين («۱»).

فصريح هذه الرواية أن مطالبتهاعليها السلام بفدك أحد وجوهها هو حقّهاعليها السلام فى الفيءوالخمس وانّ المطالبة لم تكن مقتصرة على الارض المخصوصة.

الثالثة: ومنها ما رواه الشيخ باسناده عن اسحاق بن عمار وأبى بصير عن أبىعبداللهعليه السلام قال:» انّ الله تبارك وتعالى أمهر

فاطمةعليه السلام ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرهاالجنة والنار، تُدخِل أعداءها النار وتدخل أوليائها الجنة، وهى الصديقة الكبرى، وعلىمعرفتها دارت القرون الاولى «(«۲»).

والتعبير باللام على حذو التعبير بها فى آية الفيء والانفال المفيدة لملكالتصرف والولاية العامّة، ولعل وجه التقدير بالربع لبيان عدم استقلالهاعليها السلام بالولاية، بل بالمشاركة الطولية مع النبى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۵

والامام المعصومعليه السلام، حيث أنها لم تكن اماماً.

الرابعة: وروى العلامة السيد على الهمدانى وهو من علماء أهل السنّة فى مودةالقربى عن عتبة بن الازهرى عن يحيى بن عقيل قال: سمعت علياً يقول:» قال رسولاللهصلى الله عليه وآله: انّ الله أمرنى أن ازوجك بفاطمة) رض (على خمس الدنيا أو على ربعها، شكفيه عتبة، فمن مشى على الارض وهو يبغضك فى الدنيا فالدنيا عليه حرام، ومشيه فيهاحرام «(«۱»).

الخامسة: ورووا أيضاً كالصفّورى الشافعى البغدادى فى نزهة المجالس («۲»)، وفىالمحاسن المجتمعة («۳») وأبى يوسف الدمشقى فى أخبار الدول وآثار الاول («۴»). والدهلوى فى تجهيز الجيش («۵»). رووا جميعاً أن صداقها شفاعتها فى أمّة أبيها.

وهذا يعاضد ولايتها على هذه الامة، اذ الشفاعة لمجموع الامة يستلزم كونالشفيع ذو صلة بين مجموع الامة والمشفوع عنده، حيث أن الشفاعة نحو كفالةمطوى فيها تحمّل الشفيع مسؤولية المشفوع عنه، مما يعطى كون الشفيع له نحوولاية مسبقة على المشفوع عنه، لاسيما أن فى الحديث ورد عنوان» الأمة «.

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۶

السادسة: وما رواه المجلسى، قيل للنبى صلى الله عليه وآله: قد علمنا مهر فاطمة فى الارضفما مهرها فى السماء؟ قال:» سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك، قيل: هذا مما يعنيننا يارسول الله قال: كان مهرها فى السماء خمس الارض فمن مشى عليها مغضباً لها ولولدهامشى عليها حراماً الى أن تقوم الساعة «.

السابعة: فى معتبرة يعقوب بن شعيب:» قال لما زوّج رسول اللّهصلى الله عليه وآله عليّاً فاطمةدخل عليها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك، فواللّه لو كان فى أهلى خير منه ما زوجتكه، وما أنا زوجتكه ولكن اللّه زوجك وأصدق عنكِ الخمس مادامت السماواتوالأرض «(«۱»).

الثامنة: وفى الكافى:» ولكن اللّه زوّجك من السماء وجعل مهركِ خمس الدنيا؛ صص؛ لمادامت السماوات والأرض «

التاسعة: وفى الجلاء والشفاء فى خبر طويل عن الباقرعليه السلام» وجعلت نِحلتها منعلى خمس الدنيا وثلث الجنّة وجُعلت لها فى الارض اربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ، فزوّجها أنت يا محمد بخمسمائة درهم تكون سنّة لأمّتك «.

العاشرة: وفى حديث خباب بن الارت ثم قال النبىصلى الله عليه وآله:» زوّجت فاطمة ابنتىمنك بأمر الله تعالى على صداق خمس الارض واربعمائة وثمانين درهما، الاجل خمسالارض، والعاجل أربعمائة وثمانين

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۷

درهما «وقد روى حديث خمس الارض يعقوببن شعيب عن الصادقعليه السلام («۱»).

الحادية عشر: ومثله ما فى مصباح الانوار وكتاب المحتضر رفعه باسناده عن ابنعباس أن النبىصلى الله عليه وآله قال لعلىعليه السلام:» يا على ان الله عزوجل زوّجك فاطمة وجعل صداقهاالارض، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى عليها حراماً «(«۲»).

الثانية عشر: وروى فى فقه الرضا:» أروى عن العالمعليه السلام أنه قال ركز جبرئيل برجلهحتى جرت خمسة انهار ولسان الماء يتبعها الفرات ودجلة والنيل ونهر مهربان ونهر بلخفما سقت وسقى منها فللامام، والبحر المطيف بالدنيا «وروى أن الله جل وعزّ جعلمهر فاطمةعليها السلام خمس الدنيا، فما كان لها صار لولدها عليهم السلام. («۳»)

ومفاد هذه الجملة من الروايات من أمهار فاطمةعليها السلام بخمس الارض أو ربعها؛ نوأنّها لها نظير ما ورد فى أن الارض كلها للامام، والمراد باللام فيها ملكية التصرف أى الولاية العامة عليها.

الثالثة عشر: ومنها ما رواه الكلينى فى الكافى بسند صحيح الى أبى خالد الكابلى عن أبى جعفرعليه السلام قال:» وجدنا فى كتاب علىعليه السلام أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، أنا وأهل بيتى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۸

الذين اورثنا الله الارض ونحن المتقون والارض كلها لنا «(«۱»).

الرابعة عشر: وما رواه الكلينى كذلك بسنده عن أبى حمزة عن أبى جعفرعليه السلام قال:» ان الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهماً ثلاثة فى جميع الفيء ثم قال عزوجل:» واعلموا انّما غنتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل «فنحن أصحاب الخمس والفيء وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا والله يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شيء منه الا كان حراماً على من يصيبه فرجاً كان أو مالًا ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يزيد حتى أن الرجل منهم ليفتدى بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل الى شيء من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجّة «(«۲»).

ونظير هذه الرواية مما عبّر بذوى القربى كثير من الروايات الواردة فى باب الانفال والفيء، وهذين العنوانين لا ريب فى شمولهما لهاعليها السلام.

والخلاصة: فقد تتحصل من الجهات المتقدمة مشاركة الصديقةعليها السلام للنبى وللامام عليهم السلام للولاية العامّة فى الامور بنحو المشاركة الطولية وان لم تكن ولايتها عليها السلام مستقلة بل بنحو التشريك،

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۶۹

وهذه الولاية بهذا المعنى ليس مقتضاها الامامة والولايةالعامّة الاصطلاحية ولكنها لا تقتصر على الاموال العامّة من جهة ماليتها ولا علىخصوص ارض فدك والعوالى كما قد درج تفسير احتجاجها فى ارض فدك علىذلك.

الجهة السابعة: ولايتها ومؤيدات أخرى ... ص: ۱۶۹

ويؤيد استفادة ولايتها من الآيات والروايات المتقدمة أمور أخرى منها: كونولاية زواجها بيده تعالى خاصّة، دون الرسولصلى الله عليه وآله ودون الإمام المعصوم، مع أنمقتضى قوله تعالى» النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم «(«۱») هو ولايته على كل أفرادالمؤمنين مقدمة على ولايتهم على أنفسهم، ومن ثَم زوّج النبىصلى الله عليه وآله من زيد بن حارثة مولاه، مع أنها كانت كارهة لذلك، فضلًا عن كراهية أهلها، فنزل فى ذلك قولهتعالى» ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد ضل ضلالًا مبيناً «(«۲»).

وكذلك الحال فى الإمام المعصوم حيث يرث مقام الرسول فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فى شؤونهم الفردية كما هو وليهم فى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۰

امورهم العامّة.

إلا أنّ فى خصوص الزهراءعليها السلام قد ورد من طريق الفريقين («۱») أنّ ولى امرزواجها هو اللّه تعالى خاصّة. وهذا مما يقتضى كون مقامها ذو شأن خطير، وانّ لهانحو من الولاية لبلوغها تلك الدرجة التى تضطلع بأهلية خاصّة، تتقيد قيمومتهصلى الله عليه وآلهبما هو الرسول عليها.

وهذا الاقتضاء مطرد فى باب الولاية وماهيتها، فانّ انحسار ولاية الولى علىالمولى عليه مع فرض واجدية الولى وأهليته للقيمومة لا

يكون إلا ببلوغ المولىعليه درجة من الكمال يضطلع بها بشؤون الولاية، كما فى سائر موارد المولىعليهم.

منها: ما ورد من نصوص الفريقين- التى مرت فى المقام الثانى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۱

- من أنه لم يكن‌لها كفو- لولا على («۱»)- من آدم فما دونه، اذ مقتضى عنوان الكفو، المشاركة والمعادلةفى الجملة، ونظير ما ورد من الرواية فى تفسير قوله تعالى» مرج البحرين يلتقيان‌بينهما برزخ لا يبغيان «انّ البحرين هما على وفاطمة، والبرزخ هو النبىصلى الله عليه وآله وأنه لايطغى أحدهما على الاخر فقد روى فى تفسير البرهان عن الكلينى والصدوق‌وتفسير محمد بن عباس وغيره من كتب الاصحاب المعروفة احدى عشر طريقاًلهذه الرواية وكذا من طرق أهل السنّة، ففى رواية يحيى بن سعيد العطار قال:» سمعت ابا عبدالله‌عليه السلام يقول: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، قال: علىوفاطمةعليهما السلام بحران من العلم عميقان لا يبغى أحدهما على صاحبه، يخرج منهما اللؤلؤوالمرجان: الحسن والحسين عليهما السلام «، وفى رواية أخرى فُسر البرزخ الذى بينهمابرسول الله صلى الله عليه وآله («۲»).

ومفاد هذه الروايات المتقدمة دال على نحو مشاركة لهاعليها السلام فى الولاية لما هومقرر من تلازمها مع المقام العلمى اللدنى ونحوه من المقامات الغيبية، وبهذاالتقريب يستشهد لولايتها العامّة بروايات اشتقاق النور.

منها: ما رواه المجلسى فى بحاره مسنداً الى سلمان الفارسى قال:

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۲

» دخلت علىرسول صلى الله عليه وآله فلما نظر الىّ قال: يا سلمان انّ الله عزوجل لم يبعث نبياً ولا رسولًا إلا جعل‌الله له اثنى عشر نقيباً قال: قلت يا رسول الله قد عرفت هذا من الكتابين، قال: يا سلمانفهل علمت نقبائى الاثنى عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدى؟ فقلت: الله ورسوله‌أعلم، قال: يا سلمان خلقنى الله من صفاء نوره فدعانى فأطعته وخلق من نورى علياًفدعاه الى طاعته فأطاعه، وخلق من نورى ونور علىعليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق‌منى ومن على ومن فاطمة، الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله عزوجل‌بخمسة أسماء من أسمائه فالله المحمود وأنا محمد، والله العلى وهذا على، والله فاطروهذه فاطمة والله الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين «(«۱»).

اذ من الواضح أن مفاد اشتقاق النور هو بيان لمقاماتهم عليهم السلام بحسب التكوين‌المترتب عليها الولاية بحسب التكوين والتشريع.

ومنها الروايات المتقدمة فى مصحف فاطمة عليها السلام («۲»).

ومنها: ما رواه الصدوق فى عيون أخبار الرضا باسناده عن على بن موسى‌الرضاعليه السلام فى حديث تزويج الله تعالى لفاطمة من على عليهما السلام، الى أن قال:» فقال اللهعزوجل: يا راحيل ان من بركتى عليهما» على وفاطمة «انى أجمعهما على محبتى‌وأجعلهما حجتى على خلقى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۳

وعزتى وجلالى لأخلقن منهما خلقاً ولأنشأنّ منهما ذرّيةمباركة طاهرة أجعلهم خزانى فى ارضى ومعادن لحكمى بهم احتج على خلقى بعدالنبيين والمرسلين ... ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولقد اخبرنى جبرئيل‌عليه السلام: انّ الجنّة وأهلهامشتاقون اليكما ولولا أن الله تبارك أراد أن يتخذ منكما ما يتخذ به على الخلق حجةلأجاب فيكما الجنة واهلها.. «(«۱»).

ومنها: الروايات المتقدمة فى أن الله تعالى يرضى لرضا فاطمة ويغضب‌لغضبها، مما يدل على حجيتها كما تقدم من دون تقييد لذلك بالعلوم التى صدرت‌منها أى ليست حجيتها بالوساطة العلمية فقط بل يعمّ رضاها فى الامور العامّةوغضبها فيها. كما تجلى ذلك واضحاً فى موقفهاعليها السلام بُعيد وفاة النبىصلى الله عليه وآله فى رسم‌الخلافة الاسلامية لكل الاجيال، ومن ثَمَ دارت اربعين ليلة على المهاجرين والانصار تستحثهم على مناصرة على وتجديد البيعة له، مما يدل على اشرافها ومسا همتها فى تدبير أس الامور العامة وهى

الخلافة.

ونظير ما ورد فى وصية النبىصلى الله عليه وآله لعلى عند احتضاره صلى الله عليه وآله: يا على أنفذ لماأمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيلعليه السلام («۲»). فانّ مقتضى مادة الامرثبوت نحو ولاية للآمر، وان

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۴

كان علىعليه السلام اماماً لفاطمةعليه السلام.

وفى رواية العباس عن ابى جعفر الاحول قال:» قال ابو عبداللهعليه السلام: ما تقولقريش فى الخمس قال: قلت انها) أنه (لها، قال: ما انصفونا والله، لو كانت مباهلة لتباهلنبنا وان كانت مبارزة لتبارزن بنا، ثم يكون هم وعلى سواء «(«۱»).

وتقريب دلالتها، أنهعليه السلام جعل الملازمة بين من يباهل بهم، ومن له الولاية علىالخمس والذى هو أهم الضرائب المالية الكبرى فى الشريعة الاسلامية.

ومقام المباهلة كما تقدم هو مقام الاحتجاج أى من يكون حجة على حقانيةالدين وله هذا المقام هو الذى يكون صاحب ولاية فى الخمس، وهذا الحال سيانفى الفيء والانفال لأن العنوان هو ذوى القربى، وأحد مصاديق من قامت بهالمباهلة، هو الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومنها: ما تقدم تقريبه فى آية المودة» قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة فىالقربى «(«۲») فإن مفاد هذه الآية ولاية ذوى القربى المعصومين منهم خاصّة علىالامة، وإن كان مطلق ذوى القربى لهم مطلق المودة، وحيث تقرر ذلك:

فذوى القربى كما عرفت فيما تقدم أول مصاديقه فاطمة عليها السلام، وقد فُسرت آيةالمودة فى آيات اخرى كقوله تعالى» قل لا اسالكم

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۵

عليه اجراً إلا من شاء أن يتخذ الىربه سبيلًا «(«۱») وكقوله تعالى» قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين «(«۲») وقوله تعالى:» قل ما سالتكم من اجر فهو لكم «(«۳») وقوله تعالى» وما تسألهم عليه منأجر إن هو إلا ذكر للعالمين «(«۴») أى عائد نفعه لكم، لأن مودة ذوى القربى سبيل هدايةالى الله وذكرى للعالمين، فمودة ذوى القربى نفعه عائد للعالمين أنفسهم، وهذامايعضد أن مودتهم هى بدرجة الولاية لهم والاهتداء بهم كسبيل الى الله تعالى، وحجيتهم على الخلائق، فيكون كل ذلك ثابت لها عليها السلام.

وكيف لا تكون هى أبرز منيندرج فى مودة ذوى القربى وقد قال فيها النبىصلى الله عليه وآله عن طرق الفريقين:» انّ اللهيرضى لرضاها ويغضب لغضبها «.

الجهة الثامنة: روايات أهل السنة وعموم مطالبتها ... ص: ۱۷۵

بالخمس والفيء وفدك ... ص: ۱۷۵

روى البخارى بسنده عن عائشة فى كتاب المغازى باب ۳۸ باب غزوة خيبر أنفاطمة عليها السلام بنت النبىصلى الله عليه وآله أرسلت الى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله مماأفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۶

من خمس خيبر، فقال ابو بكر انّ رسولاللهصلى الله عليه وآله قال انا لا نورث ما تركناه صدقة، انّما يأكل آل محمدصلى الله عليه وآله من هذا المال وانىوالله لا اغير من صدقة رسول اللهصلى الله عليه وآله عن حالها التى كانت عليه فى عهد رسولاللهصلى الله عليه وآله ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول اللهصلى الله عليه وآله فأبى ابو بكر أن يدفع الى فاطمةشيئاً فوجدت فاطمة فهجرته فلم تكلمه حتى

توفيت، وعاشت بعد النبىصلى الله عليه وآله ستةأشهر فلما توفيت دفنها زوجها على ليلًا، ولم يؤذن بها ابا بكر وصلّى عليها («۱»).

وهذه الرواية صريحة فى كون فاطمةعليها السلام مطالبة بوراثتها لمقام النبىصلى الله عليه وآله فىالفىء، ومن البيّن الواضح ان مقام النبى فى الفىء ليس هو مجرد الملكية المالية والتصرفات بل هو الولاية على كل الفىء والتى قد تقدم أنها أشد سلطنة من الملكية العادية فى الأعيان.

كما أن صراحة هذه الرواية يدل على أن أحد وجوه مخاصمتها فى فدك هوكونها فى الفىء المسندة ولايته وملكية التصرف فيه لذوى القربى، وأنها عليها السلام أولىمن يصدق عليه ذلك العنوان كما أن صريحة هذه الرواية مطالبتها بالخمس والفىءوفدك.

وفى صحيح مسلم بنفس اللفظ («۲»)، وكذلك فى مسند أحمد («۳»).

والى ذلك أشار ابن أبى الحديد: واعلم أن الناس يظنون أن نزاع

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۷

فاطمةعليها السلام اابابكر كان فى أمرين، فى الميراث والنحلة وقد وجدت فى الحديث أنها نازعت فىأمر ثالث ومنعها ابو بكر ايّاه أيضاً وهو سهم ذوى القربى، قال ابو بكر أحمد بنعبدالعزيز الجوهرى: أخبرنى ابو زيد عمر بن شبه قال حدثنى هارون بن عمير قال: حدّثنى الوليد بن مسلم قال: حدّثنى صدقة ابو معاوية عن محمد بن عبدالله عنمحمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر عن يزيد الرقاشى عن انس بن مالك: بأنفاطمةعليها السلام أتت ابا بكر فقالت لقد علمت الذى ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقاتوما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سهم ذوى القربى، ثم قرأت عليه قولهتعالى» واعلموا أنما غنمتم من شىء فانّ لله خمسه وللرسول ولذوى القربى «الآية. فقال لها ابو بكر بأبى انت وأمى ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقرسول اللهصلى الله عليه وآله وحق قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الذى تقرأين منه، ولم يبلغ علمىمنه أن هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملًا، قالت: أفلك هو ولأقرباءك قال: لابل انفق عليه منكم واصرف الباقى فى مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم اللهتعالى قال ابو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى وأخبرنا ابو زيد قال: حدثنا هارونبن عمير قال: حدّثنا الوليد بن ابى الهيعة عن أبى الاسود عن عروة قال: أرادتفاطمة ابا بكر على فدك

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۸

وسهم ذوى القربى فأبى عليها («۱»).

واستعرض جملة من ذلك ابن قدامة فى المغنى قال: روى عن الحسن وقتادةفى سهم ذى القربى كانت طعمة لرسول اللهصلى الله عليه وآله فى حياته فلما توفى حمل عليه ابوبكر وعمر فى سبيل الله، وروى ابن عباس أن ابا بكر وعمر قسّما الخمس علىثلاثة أسهم ونحوه حكى عن الحسن بن محمد بن الحنفية وهو قول أصحابالرأى قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وأسقطوا سهمرسول اللهصلى الله عليه وآله بموته وسهم قرابته أيضاً، وقال مالك: الفىء والخمس واحديجعلان فى بيت المال، قال ابن القاسم وبلغنى عمن أثق به أن مالكاً قال: يعطىالامام أقرباء رسول اللهصلى الله عليه وآله على ما يرى. وقال الثورى والحسن: يضعه الامام حيثأراه الله عزّوجلّ، ولنا قول الله تعالى» واعلموا انما غنمتم من شىء فانّ لله خمسهوللرسول ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل «الى أن قال: فلا يُتركظاهر النص وقول رسول اللهصلى الله عليه وآله وفعله من اجل قول أبى العالية، وما قاله ابو حنيفةفمخالف لظاهر الآية فانّ الله تعالى سمّى لرسوله ولقرابته شيئاً وجعل لهما فىالخمس حقاً كما سمى للثلاثة اصناف الباقية فمن خالف ذلك فقد خالف نصالكتاب، وأما حمل أبى بكر وعمر على سهم ذى القربى فى سبيل

مقامات فاطمة الزهراء(س) فى الكتاب والسنة، ص: ۱۷۹

الله فقد ذكرلأحمد فسكت وحرك رأسه ولن يذهب اليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقهاولى لموافقته كتاب الله وسنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله فانّ ابن عباس لما سئل عن سهم ذوىالقربى فقال: انا كنا نزعم أنه لنا فأبى ذلك عليه قومنا ولعل اراد بقوله أبى

علينا قومنافعل أبى بكر وعمر فى حملهما عليه فى سبيل الله ومن تبعهما على ذلك ومتىاختلف الصحابة وكان قول بعضهم يوافق الكتاب والسنّة كان اولى، وقول ابن‌عباس وافق الكتاب والسنّة («۱»).

وما رواه المتقى الهندى فى كنز العمال عن أحمد وابن جرير والبيهقى وغيرهمعن أبى الطفيل قال:» جاءت فاطمة الى ابى بكر فقالت: فأنت ورثت رسول اللهصلى الله عليه وآله أمأهله قال: بل أهله، قالت: فما بال الخمس؟ قال: انى سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: اذااطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذى بعده فلما وليت رأيت أن أرده علىالمسلمين «(«۲»).

وغيرها من روايات أهل السنة الدالة على أنهاعليها السلام لم تقتصر مطالبتها فى حقهاعلى عين خاصة ونحو ذلك، بل فى عموم الفىء والخمس وميراثها لمقام رسول‌اللهصلى الله عليه وآله فيهما، وهو ملكية تصرفه وولايته.

والحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين، واللعنةالدائمة على أعدائهم أجمعين.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹